رياض سندسية

الدكتور

عثمان قدري مكانسي

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة في الكتاب

لا يدّعي عاقل الحكمة ، فالحكمة باب للعصمة أو قل: طريق يؤدي إلى الفضائل ، من طرقه وصل إلى صفاء المعاني ونبع الفهم الصافي.

ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً : قال تعالى في سيدنا داوود (وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) وفصل الخطاب تمام العقلانية والسداد والفهم ، فهو الحكمة إذاً مقروناً بالعمل.

وهذا الكتاب ومضات الفهم وخلاصة التجربة لكثير من علمائنا وغيرهم من حكماء البشر، نعيش في نورها ونستمد من ضيائها تجارب العقلاء وخلاصة فهمهم للحياة .

الدكتور عثمان قدري مكانسي

أغلى من الذهب

قال حكيم: الناس في الخير أربعة: فمنهم من يفعله ابتداء، ومنهم من يفعله اقتداء.

ومنهم من يتركه حرماناً ، ومنهم من يتركه استحساناً .

فمن يفعله ابتداء. كريم .

ومن يفعله اقتداء حكيم .

ومن يتركه حرماناً. شقيٌ .

ومن يتركه استحساناً غبيّ!

سُئِل حكيم : من أسوأ الناس حالاً؟

قال : من قويت شهوته ، وبعدت همته ، وقصرت حياته ، وضاقت بصيرته .

فماذا تشتهي .....؟

فقال : عافية يوم !

فقيل له : ألست في العافية سائر الأيام ...؟

فقال : العافية أن يمر يوم بلا.. ذنب.

قال حكيم : الرجال أربعة : جواد و بخيل و مسرف و مقتصد

فالجواد : من أعطى نصيب دنياه لنصيبه من آخرته.

والبخيل : هو.. الذي لا يعطي واحداً منهما نصيبه.

والمسرف : هو الذي يجمعهما لدنياه.

والمقتصد: هو الذي يعطي كل واحده منهما نصيبه

وسئل: فبم ينتقم الإنسان من عدوه.....؟

فقال : بإصلاح نفسه .

قال حكيم : إذا سألت كريماً فدعه يفكر ، فإنه لا يفكر إلا في خير.

وإذا سألت لئيماً فعجّله لئلا يشير عليه طبعه أن لا يفعل !

وسئل: فما السخاء ..... ؟

فقال : أن تكون بمالك متبرعاً، وعن مال غيرك متورعاً .

قيل له : فكيف أعرف صديقي المخلص .....؟

فقال : أمنعه ،وأطلبه ، فإن أعطاك فذاك هو ،! وإن منعك ، فالله المستعان!

قال : أربعة حسنٌ ، ولكن أربعة أحسن !

الحياء من الرجال..حسن، ولكنه من النساء..أحسن .

والعدل من كل انسان..حسن، ولكنه من القضاء والامراء..أحسن .

والتوبة من الشيخ ..حسن، ولكنها من الشباب..أحسن .

والجود من الأغنياء..حسن.. ولكنه من الفقراء..أحسن .

وقيل له : آلأغنياء أفضل أم العلماء ..... ؟

فقال : العلماء أفضل .

فقيل له : فما بال العلماء يأتون أبواب الأغنياء . ولا نرى الأغنياء يأتون أبواب العلماء..؟

فقال : لأن العلماء عرفوا فضل المال ، والأغنياء لم يعرفوا فضل العلم!

الاستغفار بالأسحار

قال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عزّ وجلّ: "يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم" وهذا دليل على حاجة العبد لربه –سبحانه– لأنه يخطئ بالليل والنهار والاستغفار إقرار بعبودية العبد لربه، وذل منه إلى المعبود. وقد أثنى الله تعالى على عباده المستغفرين بالأسحار فقال:

[الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار].

فهم يدعونه سبحانه تعالى بالأسحار، يسألونه، ويستغفرونه دائبين دائمين. وإنما فعلوا ذلك لأن الأسحار أوقات تنزلات رب العزة، وفتحِه أبواب العطاء والجود والرحمة على وجه أكبر وأعظم.

روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يتنزّل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيبَ له؟ من يسألني فأعطيَهُ، من يستغفرني فأغفرَ له" وفي رواية لمسلم "من يُقرِض غير عديمٍ ولا ظلوم؟ حتى يطلع الفجر" وفي رواية لغيرهما "هل من تائب فأتوبَ عليه: من ذا الذي يسترزقني فأرزقَه؟ من ذا الذي يستكشف الضر فأكشفَ عنه، ألا سقيمَ يستشفي فيُشفى؟".

فالله تعالى يتجلى على عباده وقت السحر بالغفران والعطاء والإحسان وإجابة الدعاء وتحقيق الرجاء، فلا يُرَدُّ فيه سائل، ولا يخيب فيه آمل. وروى عمرو بن عبسة رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "أقرب ما يكون العبد من الرب في جوف الليل، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله عزّ وجل في تلك الساعة فكن".

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أيُّ الدعاء أسمع؟ أي أرجى إجابة. قال صلى الله عليه وسلم : "جوفَ الليل، ودُبُرَ الصلوات المكتوبات" أي وراء الصلوات المفروضة.

وفي رواية "أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد".

فيا أخي الحبيب في كل يوم ساعات رائعات، فاغتنمها في وقت السحر حيث الناسُ نيامٌ يغطون في سبات عميق ونوم ثقيل، أما أنت وإخوانك فتقفون أمام الله، تتذللون، وتتضرعون، وتقبلون على الله سبحانه، تناجونه، وتتقربون إليه، وتستغفرونه وتسألونه الرحمة والغفران، والقبول وحسن المآل، وهو غفار الذنوب، ستار العيوب. جابر العثرات، لا يرد سائله سبحانه.

قال نافع مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم جميعاً: كان ابن عمر يحيي الليل صلاة ثم يقول: يا نافع أسْحَرْنا؟ أي هل دخلنا في السحر فأقول لا. فيعاود الصلاة، فإذا قلت له نعم: أي دخلنا في السحر قعد يستغفر الله تعالى حتى الفجر

وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يخرج من ناحية داره مستخفياً وقت السحر، وفي رواية: كان يُسمَعُ ذلك من داره وقت السحر فيقول: اللهم إنك دعوتني فأجبتك، وأمرتني فأطعتك، وهذا السحر فاغفر لي، فقيل له في ذلك، فقال: إن يعقوب عليه السلام حين سوّف بنيه – أي وعدهم بأن يستغفر لهم وقال لهم "سوف أستغفر لكم ربي" – أخرهم إلى السحر، لأنه وقت إجابة.

وروى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل: لم أخَّرَ يعقوب عليه السلام بنيه في الاستغفار؟ قال "أخرهم إلى السحر لأن دعاء السحر مستجاب".

ومن أشدّها رجاء سحَرُ يوم الجمعة. فقد روى الترمذي في حديث طويل، وحسنه والحاكم، وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما – وفيه يقول صلى الله عليه وسلم. وقد قال أخي يعقوب لبنيه "سوف أستغفر لكم ربي" يقول "حتى تأتي ليلة الجمعة".

وروى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله صلى الله وسلم أن نستغفر بالأسحار سبعين استغفارة".

وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه:

بلغنا أن داوود عليه السلام سأل جبريل عليه السلام فقال: يا جبريل أي الليل أفضل؟ فقال: يا داوود ما أدري، إلا أن العرش يهتز في السحر.

اللهم اجعلنا من التوابين، واجعلنا من المستغفرين، واكتب لنا عز الدنيا والآخرة، وبلغنا مما تحب آمالنا.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الاستقامة

روى الإمام أحمد والنسائي عن سفيان بن عبد الله رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله مرني بأمر في الإسلام لا أسأل عنه أحداً غيرك.

قال صلى الله عليه وسلم "قل آمنت بالله ثم استقم".

قلت فما أتقي؟ أي: أتوقى شره، فأومأ إلى لسانه..

والاستقامة: الإقامة والملازمة للسير على الصراط المستقيم الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم يهدي إليه كما قال تعالى:

(وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم، صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور).

وقال تعالى (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون).

فالماشي على الصراط المستقيم لا يحيد يمنة ولا يسرة فيضل ويقع في المتاهات.

وقد أمر الله عباده أن يدعوه (اهدنا الصراط المستقيم) فثبتنا عليه وزدنا هدى فوق هدى (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى).

ويدخل في الاستقامة على الصراط التزام المأمورات والانتهاء عن المنهيات فيدخل في ذلك طاعته وطاعة رسوله في الأقوال والآداب والأخلاق.

ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم –وهو إمامنا– قال فيه الله عز وجل:

(إنك لعلى هدى مستقيم) فالاستقامة على الصراط تتحقق باتباع هذا الإمام العظيم صلى الله عليه وسلم. قال تعالى (واتبعوه لعلكم تهتدون). وقد بين الله تعالى فضل الذين

قالوا ربنا الله ثم استقاموا وذكر ما أكرمهم به سبحانه فقال: (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاءً بما كانوا يعملون).

وقال أيضاً سبحانه وتعالى: (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل علهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون، نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون، نزلاً من غفور رحيم).

قال الصديق رضي الله عنه في الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا: لم يشركوا بالله تعالى شيئاً.. هو وحده لا شريك له.

وقال الفاروق عمر رضي الله عنه في تفسيرها: استقاموا لله بطاعته، ولم يروغوا روغان الثعلب.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما فيها: استقاموا على أداء فرائضه كاملة بسننها وآدابها وأخلصوا لله تعالى.

قال أبو العالية: أخلصوا لله تعالى الدين والعمل.. والاستقامة حقيقة تتطلب ذلك كله.

وكان الحسن البصري إذا قرأ الآية قال: اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة.

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه، ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائقه". أي ضرره وإيذاءه. فإذا توقفنا عند قوله تعالى (تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا) وجدنا إشراقات كثيرة منها:

١ – ألا تخافوا من ردّ حسناتكم فهي مقبولة، ولا تحزنوا على ذنوبكم فإنها مغفورة.

٢ – ألا تخافوا مما تقدمون عليه، ولا تحزنوا على ما خلفتم في الدنيا.

وهذه التنزلات الملكية بالأمان من المخاوف ومن الأحزان ، وبالبشائر تتوارد عليهم وتتوالى وتتابع في جميع أحوالهم وفي حالات المخاوف، وأشدها عند الموت وفي القبر وعند البعث، ففي هذه المواطن الثلاثة المخيفة المغمّة يكونون في أمان وسلام ويستبشرون بالأمن والأمان من الرحيم المنان.

– نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا.. فكيف ذلك؟

إن الملائكة أحباؤنا الذين يدعون لنا بالخير، ويلهموننا إياه ويحسّنون لنا الحسن، ويحذروننا من الشر حين كان الشيطان يزيّنه لنا، يدل على ذلك ما جاء في الحديث الشريف الذي رواه ابن مسعود رضي الله عنه:

"إن للشيطان لمة بابن آدم، وللملك لمة

فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق

وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق

فمن وجد من ذلك شيئاً – أي الإيعاد بالخير والتصديق بالحق– فليعلم أنه من الله تعالى، فليحمد الله تعالى.

ومن وجد الأخرى – أي لمة الشيطان – فليتعوذ بالله من الشيطان".

ثم قرأ (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء، والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً، والله واسع عليم).

والملائكة يحضرون مجالس العبادة والصلاة وتلاوة كتاب الله، كما ورد في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه الإمام مسلم:

"وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت

عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده..".

– والآخرة.. فكيف ذلك؟

إنهم يكونون معنا في قبورنا، يلاطفوننا ويؤانسوننا، ويحتفون بنا، لئلا تعترينا وحشة في القبور، وفي الحشر والنشر، ويصاحبوننا في سيرنا على الصراط المستقيم حتى نصل إلى الجنة –إن شاء الله تعالى – وتتلقانا ملائكة الجنة فندخلها بسلام وأمان قال تعالى:

(وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين).

وهم – الملائكة – يشهدون للمؤمنين عند ربهم بطاعتهم وعبادتهم وأذكارهم وتلاوة كتاب الله، لأنهم معهم يشاركونهم.

قال تعالى: (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) ومن جملة الأشهاد الملائكة عليهم السلام.

روى ابن ماجة عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أكثروا من الصلاة عليّ يوم الجمعة، فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة، وإن أحداً لن يصلي عليّ إلا عرضت عليّ صلاته حين يفرغ منها.."

وروى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد يكتبون الأول فالأول".

فالاستقامة نور في الحياة الدنيا، وعزة وكرامة في الآخرة ومنازل الأبرار في الجنة.

اللهم اجعلنا من أهل الاستقامة.

المسارعون إلى الله تعالى

قال تعالى في سورة آل عمران الآيات ١٣٣- ١٣٦:" وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض ، أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء ، والكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين ، والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم — ومن يغفر الذنوب إلا الله؟- ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم ، وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ونعم أجر العاملين "

فما المسارعة ؟ هي المبادرة والاستباق إلى ما يوجب المغفرة . وهي الطاعة . ويندرج تحتها أمور كثيرة كأداء الفرائض ، وهو قول علي رضي الله عنه . والإخلاص في التوجه ، وهو قول عثمان رضي الله عنه . وقيل التوبة إلى الله ، والبعد عن الربا ، والثبات في القتال . والآية عامّة في الجميع .

وقد ذكر الحث على المبادرة مرات في القرآن يدعو إلى التنافس وبذل الجهد للوصول إلى الهدف المنشود من وجودنا أحياء . يقول تعالى " فاستبقوا الخيرات " .

وقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه في الاستباق والمسارعة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الصلاة على وقتها :" إنما مثل المهجّر إلى الصلاة كمثل الذي يُهدي البدنة ، ثم الذي على أثَره كالذي يُهدي البقرة ، ثم الذي على أثَره كالذي يُهدي الكبش ، ثم الذي على أثَره كالذي يُهدي الدجاجة ، ثم الذي على أثَره كالذي يُهدي البيضة . " ويشجع الحبيب المصطفى على الإسراع في أداء الصلاة في قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي يرويه أبو محذورة عن أبيه عن جده " أول الوقت رضوان الله ، ووسط الوقت

رحمة الله ، وآخر الوقت عفو الله . " فقال أبو بكر رضي الله عنه : رضوان الله أحب إلينا من عفوه . فإن رضوانه عن المحسنين ، وعفوه عن المقصّرين .

وإلى أين المسارعة؟.. إنها إلى مغفرة من الله تعالى تفتح آفاق النفس وتقرب العبد من مولاه .. إلى رضوان الله وكرمه ، وهذا يستدعي الإخلاص والهمة ، وبذل الجهد للوصول إلى الهدف . ومن غفر الله تعالى له نال السعادة كلها، ونال مع رضوان الله تعالى ثوابَه وجودَه ، إنها جنة عرضها السماوات والأرض . فهي واسعة لا يعلم مداها إلا الذي خلقها – سبحانه – وعرْضُ هذه الجنة السماوات السبع والأرضين السبع مقترنة بعضها إلى بعض مبسوطة كما تبسط الثياب . فكم عرضها يا ترى؟ . الله أعلم ...وإذا كانت السماوات والأرض عرضَها فكم طولها يا ترى؟!! والطول أكثر امتداداً من العرض . والجنان أربعة : جنة عدْن وجنة المأوى وجنة الفردوس وجنة النعيم . وكل جنة منها كعرض السماوات والأرض . وفي الصحيح : " إن أدنى أهل الجنة منزلة من يتمنّى ويتمنّى حتى إذا انقطعت به الأماني قال الله تعالى : لك ذلك وعشرة أمثاله ."

قال يعلى بن أبي مرة : لقيت التنوخيَّ رسول هرقل إلى النبي صلى الله عليه وسلم بحمص شيخاً كبيراً ، قال : قدمتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب هرقل ، فتناول الصحيفة رجل عن يساره ، قال : فقلت : من صاحبكم الذي يقرأ ؟ قالوا معاوية . فإذا كتاب صاحبي – هرقل – : إنك تدعوني إلى جنة عرضها السماوات والأرض ، فأين النار؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " سبحان الله ، فأين الليل إذا جاء النهار؟ " .

لمن أعِدّت الجنة؟ إن أصحابها المتقون ." أعدت للمتقين " والمتقي من ابتعد عن غضب الله وعذاب جهنم . إن المتقين ذوو صفات عدة ، ذكرها القرآن في مواطن كثيرة تتعدد حسب الفكرة المقصودة في كل آية . فما صفات المتقين في هذه الآيات الكريمة ؟

بعض صفات المتقين : نسأله تعالى أن نكون منهم :

١- الذين ينفقون في السراء والضراء : من صفات الله تعالى الكرم والجود ، والسعيد من يحاول التحلي ببعض هذه الصفات التي يحبها المولى سبحانه . ومن كان جواداً كريماً كان هماماً واضح الإحساس زكي النفس ذكي الفؤاد ، يحب الخير للعباد ، ويساعد ذا الحاجة الملهوف ، يقصده الناس لقضاء حوائجهم وتفريج كروبهم . " الخلق عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله " و" من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة " . والكرم والجود من أخلاقه في حالاته كلها . قال المفسرون : في حالة السراء والضراء ، والعسر واليسر ،والرخاء والشدة ، والرضا والغضب ، في حال الصحة والمرض . فالإنفاق – على هذا- متأصل في نفوسهم ، وسجية في طبائعهم .

٢- والكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين . ثلاث صفات رائعات يتدرج المتقي فيها ليصل إلى أفضلها . أولها: كظم الغيظ – حبسه ومنعه من الثوران والتصرف الهائج – فهو الصبر إذاً ...والصبر نور في البصر والبصيرة كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم :" والصبر ضياء " وقال تعالى " إن الله يحب الصابرين " وعلى المسلم الداعية أن يتجاوز عن إساءات الناس إذا أراد أن يصل إلى قلوبهم ، ويلج عقولهم ، فيحبوه ويتبعوه ، وقد جبل الناس على الضعف والخطأ الذي يولد الأذى فقد قال صلى الله عليه وسلم :" المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم . "ولا ننس أن كظم الغيظ لا يعني نسيانه ، إنما تناسيه ، والفرق بينهما واضح جليّ . فإذا نجح المسلم في السيطرة على نفسه فحبس غيظه دخل في المرتبة الثانية : العفوعن الناس والعفو نسيان ما كان منهم ، ومسامحتهم، وكأن شيئاً لم

يكن . فقد كان الرسول الكريم يعفو عمّن ظلمه ، والسيرة مليئة بهذه المواقف النبوية الرائعة في العفو والصفح عن المسيء، وتاريخ الصالحين من أسلافنا شاهد على ذلك . والعفو دليل سمو الأخلاق ورجاحة العقل ، ولن يكون الداعية ناجحاً إذا عامل الناس بالمثل . إنه إن عاملهم كذلك لم يتميّز عنهم . والقرآن الكريم يدعونا إلى العفو " وأن تعفوا أقرب للتقوى " ويقول : " وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم " هذا مع المسلمين . وكذلك مع غير المسلمين فإن العفو عنهم رفع مقام للمؤمن ، وزيادة في عقاب الكافر " قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوماً بما كانوا يكسبون " وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم " ليس الشديد بالصُرَعة ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب " بل إن الإنسان إذا تحمّل أذى الآخرين نال ثواباً عظيماً يدل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم : " ما من جَرعة يتجرعها العبد خيرٌ له وأعظم أجراً من جرعةِ غيظ في الله . فإذا نجح المسلم في الدرجة الثانية جازها إلى الدرجة الأخيرة الراقية الإحسان الذي يحبه الله تعالى ويحب أهله " والله يحب المحسنين " ودرجة الإحسان أنك تعبد الله " كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " فأنت على هذا في المعية الإلهية . قال سريٌ السقَطيّ : الإحسان أن تحسن في وقت الإمكان ، فليس كل وقت يمكنك الإحسان فيه . وقال الشاعر أبو العباس الجمّني :

ليس في كل ساعة وأوانِ تتهيّا صنائع الإحسان

وإذا أمْكنَتْ فبادر إليها حذراً من تعذّر الإمكان

وقد أورد القرطبي في المحسن : من صحح عقد توحيده ، وأحسن سياسة نفسه ، وأقبل على أداء فرائضه ، وكفى المسلمين شرَّه .

٣- ، والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم

ا- ذكروا الله .....

ب- فاستغفروا لذنوبهم – ومن يغفر الذنوب إلا الله؟- ،

ج- ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون .

ما من أحد لم يقترف ذنباً ، أو يجترح إثماً فالإنسان خطّاء كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم، وخطّاء تعني كثير الأخطاء . لكن التائب بصدق يتوب الله تعالى عليه ، وهؤلاء في هذا الصنف دون الصنف الأول ، فألحقهم الله بهم منّاً منه وكرماً ، وهؤلاء هم التوّابون . الذين يقعون في الفاحشة ، ثم يستدركون ويتوبون إلى الله تعالى ، فيتوب عليهم ويغفر لهم . أما ظلم النفس هنا فالخطأ دون الكبائر .. هؤلاء يذكرون الله تعالى ويعلمون أنهم أغضبوه فيسارعون للاستغفار والتوبة والأوبة إليه سبحانه فهو وحده الذي يقبل توبتهم، ويقيل عثرتهم . فإذا كان الله وحده من يغفر الذنوب فاللجوء إليه وحده الطريق الصحيح للتخلص من الذنوب والآثام . والتوبة لها شروط ثلاث كما ذكر العلماء اعتماداً على هذه الآية الكريمة أن : ١- يقلع الإنسان عن المعصية . ٢- وأن يندم على فعلها ٣- وأن يعزم أن لا يعود إليها . فإذا كانت المعصية بحق غير الله زيد شرط رابع ٤- أن يعيد الحق لصاحبه وأن يستسمح منه . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم " ما من عبد يذنب ذنباً ، ثم يتوضأ ويصلي ركعتين ، ثم يستغفرُ الله ،إلا غفر له " ثم تلا الآية الكريمة " والذين إذا فعلوا فاحشة ...." ومن علم أنه واقف يوماً أمام الله تعالى – " وهم يعلمون " – خاف ورجا، ورغب ورهب ، فأسرع تائباً إلى الله عز وجل .

جزاء المتقين

أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم ،

وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ،

ونعم أجر العاملين

فهؤلاء الذين ينفقون من أموالهم ابتغاء مرضاة الله ، ويكظمون غيظهم ، ويعفون عمن ظلمهم ، ويحسنون إلى الناس ، ويتوبون إلى الله ويستغفرونه ، ويعلمون أنهم محاسبون على ما يعملون فيحترسون لهم جزاء عظيم يقود إلى نتيجة عظيمة .

أما الجزاء العظيم فالمغفرة من الله تعالى ومن رضي الله عنه رضي كل شيء عنه وأحبه، وعفا عنه وأبدل سيئاته حسنات . ومن نال هذه الفضائل العظيمة استحق الجنة ونعيمها الأبدي الخالد بأنهارها العذبة من ماء غير آسن ولبن لم يتغير طعمه وعسل مصفى وخمر لذة للشاربين .

ونال ما يتمناه من ثمار الجنة وأُكُلها ، وجميل حورها . وما أحسن هذا الجزاء الكريم من رب كريم . وأنْعِمْ بالخلود أبد الآبدين .

قال : سأزوركم أنا والأولاد ، أعندكم مانع؟ قلت : أهلاً وسهلاً ، تشرفنا والله زيارتكم لنا .. ثم سألته متعجباً : وأين زوجتكم لم لا تشارككم الزيارة كذلك ؟ إن أم حسان حين زرناكم رأت فيها أختاً طيبة واعية ورغبت أن تصادقها فلماذا لا تكون معكم؟ أهي لا سمح الله مريضة أو مشغولة ؟ فلم لا تؤجلون الزيارة إلى وقت آخر تكون فيه زوجتكم معكم ؟ .

قال مبتسماً : ألم أقل : إنني والأولاد سنزوركم ؟ قلت : بلى ، ولم تذكر أم الأولاد . قال : نعني – معشر المصريين – بالأولاد أمهم . قلت : ولكن زوجتك أم الأولاد ، فقل سنزوركم أنا وزوجتي . فالزوجة ليست الأولاد ، إنما هي أم الأولاد .

وعشت وما أزال في عمان الأردنية وأسمع من جيراني إذا سألت أحدهم عن أهل بيته من الزوجات أو البنات إجابة غريبة عجيبة مثل : أخذت المرأة – تكرم – إلى المستشفى ، أو البنت –تكرم – أخذت التوجيهي وسنقيم لها حفلة فاحتفلوا معنا . أقول وماذا تقصد بكلمة – تكرم – كلما ذكرت المرأة ؟ فيقول متعجباً من سؤالي المستنكر ، ويجيبني : ذكر المرأة لا يليق في حضرتكم !. فأتعجب لهذا وأقول : وهل هي أقل مكانة من الرجل أو ليست إنساناً ، أو إنسان من الصنف المتدني ؟! فيسكت متعجباً أو يقول : هكذا تعودنا . فأردف قائلاً : هل من العيب ذكر المراة ، وهي الأم والزوجة والبنت والعمة والخالة والأخت ووو .. إلا إذا حقرناها ؟! ألسنا نحقر أنفسنا حين نقلل من شأنهنّ فهن نصف المجتمع اللطيف الذي مدحه المصطفى عليه الصلاة والسلام ، فقال : " الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة ؟! ألم يقل : إنهن شقائق الرجال ؟ ألم يقرنهن المولى سبحانه بالرجال

دون كلمة – تكرم – في الآية الخامسة والثلاثين من سورة الأحزاب حين قال :" إن المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، والقانتين والقانتات ، والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات ، والخاشعين والخاشعات ، والمتصدقين والمتصدقات ، والصائمين والصائمات ، والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً" . ألم يكرم الرجال والنساء معاً في سورة التوبة الآيتين الحادية والسبعين " والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض.." فجعلهم أنداداً وأولياء ؟ ثم وعدهم جميعاً برضاء الله والجنة ؟ " وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار ..."

ولو استطردنا قليلاً فخرجنا عن الموضوع إلى أمر آخر لسمعت أحدهم يقول : اشترينا – وأنت محشوم – حماراً قوياً . أو أو ذهبنا لنادي الخيول – حاشاك- وتدربنا على ركوبها . فأقول ممازحاً : مادخلي أنا في شرائك حماراً أو ركوبك خيلاً ؟ أتراني – وأنت تتحدث عنهما – أظن نفسي واحداً من هذين الصنفين ؟ فأنت تنفي التهمة سلفاً بذكرك أمثال هاتين الكلمتين – محشوم ، وحاشاك – فيبلس الرجل ثم يستدرك : بل أظن أني أبدي الاحترام لك حين أحاشيك أن تسمع مثل هذا الكلام .... فأقول منبهاً : ولكن الله تعالى قال دون حشر كلمتي – محشوم وحاشاك – وأضرابهما " إن أنكر الأصوات لصوت الحمير " وقال كذلك عن الكافرين : " إنْ هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً " وقال واصفاً اليهود الذين يجمعون التوراة ولا يعملون بها "كمثل الحمار يحمل أسفاراً " فلم يذكر بعضاً مما تقول . أتراك أكثر أدباً من القرآن في مخاطبة الناس ، وأشد احتراماً لهم منه؟ . .. أمر الناس والله عجيب عجيب .

بل إن بعضهم حين يحدثك عن زوجته يتعمد إغفال اسمها تحرجاً ، وكذلك حين يعطيك أحدهم اسمه واسم أبيه يتناسى أن يذكر اسم أمه – حين ينبغي أن يذكره وإذا

اضطر تململ وخجل – جهلاً منه بآداب الإسلام، وبسيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام.

وقد روى عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل ، قال : فأتيته فقلت : أي الناس أحب إليك ؟ قال : (عائشة) . قلت : من الرجال ؟ قال : (أبوها) . قلت : ثم من ؟ قال : (عمر) . فعد رجالا ، فسكت مخافة أن يجعلني في آخرهم .

فالرسول عليه الصلاة والسلام ذكر اسم عائشة أحب نسائه إليه دون أن يكني أو يلمح، بل صرّح ووضّح . وكان في حديثه عن زوجاته ونساء المسلمين متبسطاً غير معقّد.

وهذه زوجته صفية رضي الله عنها تقول : "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم معتكفا فأتيته أزوره ليلا ، فحدثته ثم قمت فانقلبت ، فقام معي ليقلبني – يعيدني إلى البيت – ، وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد ، فمر رجلان من الأنصار ، فلما رأيا النبي صلى الله عليه وسلم أسرعا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : على رسلكما ، إنها صفية بنت حيي . فقالا : سبحان الله يا رسول الله ، قال : إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم ، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما سوءا ، أو قال : شيئا .

ولم يقل : هذه – الأولاد !– أو إحدى زوجاتي – حاشاكم !. .. كان واضح الحديث بيّنه صلى الله عليه وسلم .

فهل نكون أكثر حياء من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في حياتنا وحديثنا؟!

فإذا كان ديننا يعلمنا احترام المرأة وإكرامها والحديث عنها بأدب وحسن أخلاق فما بالنا نعيش في هذا الجانب جاهلية غريبة عنا تشوّه حقيقة هذا الدين وتعطي أعداءنا ومن يسير على خطاهم فكرة خاطئة عن هذا الإسلام العظيم !!!! والعيب فينا معشر المسلمين .. لا في ديننا الرائع ؟!

الهجرة

أسلم بعض فتيان مكة، وأظهروا للنبي صلى الله عليه وسلم الإيمان به، فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة تخلفوا عنه فلم يهاجروا، وأقاموا مع قومهم، وفُتن منهم جماعة، فافتتنوا. فلما كانت غزوة بدر خرج منهم قوم مع الكفار رغبةً أو رهبة، فلما التقى المسلمون والكافرون استحقر هؤلاء عدد المسلمين واستقلّوهم وداخلهم شك في الدين الحق فارتدّوا، وقاتلوا في صف الكفار فقُتلوا.

وروى ابن عباس رضي الله عنهما أن ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم، يأتي السهم فيُرمى به، فيصيبُ أحدهم، فيقتلُه أو يُضرَبُ فيُقتل، فأنزل الله تعالى.

"إن الذين توفّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم، قالوا فيم كنتم؟ قالوا: كنا مستضعفين في الأرض. قالوا: ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها؟! فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً، إلا المستضعفين من الرجال والنساء والوالدان لا يستطيعون حيلة، ولا يهتدون سبيلاً، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم، وكان الله عفوّاً غفوراً"(١).

فأصحاب الدعوة المؤمنون بها ينشطون في الدعوة إليها، ويقرّبونها إلى الناس، وينافحون عنها بالطرق الصحيحة المتاحة، ولا يألون جهداً، ولا يوفّرون طاقة في نشرها والذّود عنها، ويتحملون في سبيلها الأذى والمشقة، فإذا ضاق عليهم الأمر، وخافوا على أنفسهم القتل أو السجنَ والتعذيب، أو الفتنة والنكوصَ على الدعوة وجبت عليهم الهجرةُ إلى بلد يأمنون فيه على أنفسهم، وينجُون فيه من السوء ويحافظون فيه على دينهم وإلا كانوا ممن ظلم نفسه، وكلّفها مالا تطيقُ من احتمال المساءة والأذى، وقد قال سعيد بن

جبير: إذا عُمِل بالمعاصي في أرض فاخرج منها، وتلا "ألم تكن أرض الله واسعةً فتهاجروا فيها".

ورُويَ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من فرَّ بدينه من أرضٍ إلى أرض وإن كان شبراً استوجب الجنة، وكان رفيق إبراهيم ومحمد" عليهما صلوات الله وسلامه. أما من خاف على نفسه فترك الدعوة، أو تخلّى عنها، أو ركنَ إلى أعدائها ، ثم كان عليها ﴿فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً﴾ إلا من كان ضعيفاً لا يستطيع السفر ولا يتمكن من الهجرة، ولا يستطيع الفِرار بدينه فـ "لا يكلف الله نفساً إلا وسعها" وعسى الله تعالى أن يعفو عنهم، ويغفر لهم.

والهجرة في سبيل الله تعالى – إن حاق الظلم بأرض – واجبة، وفيها فوائد كثيرة. قال تعالى: "ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة، ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله، وكان الله غفوراً رحيماً"(٢).

أولى الفوائد: أن المهاجر يأمنُ على نفسه فيُظهرُ الحقَ، لا يخاف أن يظفر به عدوّه، ويجهرُ بالدعوة دون أن تطاله اليد الآثمة التي اعتادت وأد الحقّ، وحرَصت على كتمه، ويُحزِنُ الظالمَ حين يكشف جرائمه، ويعرّيه، ويُصرّحُ برأيه غير هيّاب ولا وجل، فهو في منعَة منهم، وسلام من غوائلهم.

ثانيها: أن الله تعالى يوسع عليه في الرزق، وفي سبل العيش، ومعرفة الحياة، قال قتادة: إنها سعة من الضلالة إلى الهدى، ومن العَيْلةِ إلى الغنى. وقال مالك: السَّعة سعة البلاد، فسعة الأرض تؤدي إلى كثرة الرزق واتساعِ الصدر لهمومه وأفكاره وغيرِ ذلك من وجوه الفرَج.

قال الشاعر:

وكنت إذا خليلٌ رام قطعي ..... وجدتُ ورايَ منفسحاً عريضاً

وقال آخر:

لكان لي مضطرب واسع ..... في الأرض ذات الطول والعرض

ثالثها: أنه لا ينبغي لمسلم أن يمكث في أرض يُسَبُّ فيها السلف، ويُعمل فيها بغير الحق، قال تعالى: "وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره، وإما ينسينّك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين"(٢) هذا بعد التذكرة والحُجة والتنبيه إلى خطورة ما يخوضون فيه، وإصرارِهم على التكذيب والإيذاء، وإمعانِهم في الضلالة والسفاهة. قال تعالى: "فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا، ذلك مبلغهم من العلم.."(٣).

رابعها: أنّ الذين يتركون بلادهم التي ألفوها وشربوا من مائها وتنسّموا هواءها وامتزجوا في ترابها وتعلقت قلوبهم بها- ففي كل زاوية ذكرى، وكل منعطف مأوى، وكلِّ دقيقة لهفة وتعلُّق بها..- هؤلاء الذين تركوها لله سبحانه وتعالى، وانسلخوا عن دورهم وأملاكهم وحقولهم ومتاجرهم، وأهلهم وأحبابهم ابتغاء مرضاته، هؤلاء الذين هجروا كل غال ونفيس في الدنيا ابتغاء مرضاة الله سبحانه، ثم ماتوا إنّ أجرهم لكبير، وثوابَهم لخطير.. إنهم تركوا كل شيء لله سبحانه، وهو الكريم فسيعطيهم ما تقرُّ به عيونهم وترتاح له نفوسهم، فما فعلوه عظيم، يدل على عمق إيمانهم، وسمّو نفوسهم، وليكوننّ الثواب وليكوننّ الأجر عظيمين كذلك، وهل هناك أفضل من رحمة الله وغفرانه؟!!

وقد قسّم العلماء الذهاب في الأرض قسمين. الأول هرب، والثاني طلب.

أما الأول:- الهرب - فينقسم إلى ستة أقسام.

أولها الهجرة، وهي الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام، وكانت فرضاً في أيام النبي

صلى الله عليه وسلم، وما تزال باقية مفروضة إلى يوم القيامة. فَمَنْ أسلم في دار الحرب وجب عليه الخروج إلى دار الإسلام ليقوى بإخوانه ويأمنَ على نفسه، أما إذا لم يجدْ الأذى في بلده وكان باستطاعته الحفاظُ على دينه والدعوةُ إليه وجب البقاء فيه، ليكون نبراساً ومثلاً يحتذى، وعاملاً إيجابياً لهذا الدين يقتفى.

ثانيها: الخروج من أرض البدعة التي تسلّط عليها من يدّعي الإسلام لكنه يحرّفه، ويزاول المنكرات ويدعو إليها باسم التقدّم تارة، ومسايرة ركب الحضارة الزائفة تارة أخرى. قال ابن العربي: إن المنكر إذا لم تقدر أن تغيّرَه فَزُلْ عنه. وقال تعالى: "وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم .... إلى قوله تعالى – وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين".

ثالثها: الخروج من أرض غلب عليها الحرامُ من مأكل ومشرب وحديث وشعارات برّاقة لا تمتّ إلى الإسلام بصلة، ومعاملاتٍ غلب عليها طابَعُ التغريب والتشريق، وإجهاضِ كل دعوة نظيفة شريفة تقيم حياة أفرادها على تقوى من الله ورضوان.. إنّ طلبَ الحلال فرض على كل مسلم، فمن رأى نفسه وأسرته يعيشون في مجتمع منحل فاسد يكاد يعصف بهم، فعليه الرحيل إلى مجتمع نظيف طيب طاهر.

رابعها: الفِرار من الأذيّة في البدن، وهذا فضل من الله تعالى أرخصَ فيه، فإذا خشي الإنسان على نفسه فقد أذن الله تعالى له في الخروج من البلد الذي قد يسجن فيه ويعذبُ، وأولُ ما فعله إبراهيم عليه السلام حين خاف ذلك العذاب أن انطلق إلى شمال العراق قائلاً: "إني ذاهب إلى ربي سيهدين" "إني مهاجر إلى ربي" وقال الله مخبراً عن موسى عليه السلام "فخرج منها خائفاً يترقب، قال رب نجني من القوم الظالمين".

خامسها: خوف المرض في البلاد الوَخِمة والخروجُ منها إلى الأرض النّزِهة. وقد أذن

رسول الله صلى الله عليه وسلم للرعاة حين استوخموا المدينة أن يخرجوا إلى ظاهرها حتى يَصِحّوا وتتعافى أجسادُهم.

وقد استُثني من ذلك الخروجُ من الطاعون، فمنعَ الله سبحانه منه بالحديث الصحيح عن نبيّه الكريم صلى الله عليه وسلم الذي رواه أسامة بن زيد رضي الله عنه في شرح قوله تعالى في سورة البقرة: "ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت.." حين ذكر الوجع فقال "رجزٌ أو عذاب عُذّب به بعض الأمم، ثم بقي منه بقيّة، فيذهبُ المرّة، ويأتي الأخرى، فمن سمع به بأرض فلا يقدِمنّ عليه، ومن كان بأرض وقع بها فلا يخرج فراراً منه" أخرجه الترمذي. وهو الطاعون.

سادسها: الفِرار خوف الأذيّة في المال، فإن حرمة مال المسلم كحرمة دمه، والأهلُ مثله وأوكد.

وأما الثاني: الطلب ، فإنه ينقسم إلى قسمين: طلبِ دين وطلبِ دنيا. ويتعدد بتعدّد أنواعه إلى تسعة أقسام.

الأول: سفر العبرة والعظة، قال تعالى "أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم؟" وهو كثير في القرآن، ويقال: إن ذا القرنين إنما طاف الأرض ليرى عجائبها، وقيل لينفذ الحق فيها.

الثاني: سفر الحج ، والأول وإن كان ندباً فالحج الغرضُ الخامس من فروض الإسلام لمن استطاع إليه سبيلاً.

الثالث: سفر الجهاد في سبيل الله والدفاعِ عن حُرُماته، ودعوةِ الناس إلى الحق، وقتالِ من يمنع ظهوره، وقد قال ربعي بن عامر رضي الله عنه لرستم قائد الفرس: إن الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة الناس إلى عبادة رب الناس، ومن ظلم الجاهلية إلى عدل الإسلام .

والجهادُ ذِروة سنام الإسلام.

الرابع: سفر المعاش، وطلب الرزق "وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله" وقد يتعذر على المرء معاشه مع الإقامة، فيخرج في طلبه – لا يزيد عليه – من تجارة وصيد وما شابه ذلك، وهو فرضٌ عليه فلا يمدَّ يده للناس.

الخامس: سفر التجارة والكسبِ الزائد من المال والقوت، وهو جائز، فقد قال سبحانه "ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم" وهي – التجارةَ – نعمة من نعم الله في الحج فكيف إذا انفردت.

السادس: السفر في طلب العلم أو البحث والاستكشاف، وصاحبُه ذو همة عالية، يدع الراحة وطيب الإقامة ليُحصّل العلم الديني والدنيوي، فينفعَ نفسه، وينفعَ المسلمين به، والأحاديث كثيرة في هذا الباب تحث المسلمين على طلبه أينما كان.

السابع: قصد البقاع، قال صلى الله عليه وسلم: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى" لما في ذلك من الأجر والثواب.

الثامن: الالتحاق بالثغور ، والرباطُ فيها ، وتكثيرُ سوادها للذب عنها، وإخافةِ أعداء الله. قال صلى الله عليه وسلم: "عينان لا تمسهما النار، عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله".

التاسع: زيارة الإخوان في الله تعالى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاثاً على الرباط الأخوي والصلة في الله" "زار رجل أخاً له في قرية، فأرصد الله له ملكاً على مَدرجته، فقال: أين تريد؟ قال أريد أخاً لي في هذه القرية. قال: هل لك من نعمة تربّها عليه(تردها وتتمها)؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله عزّ وجل. قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد

أحبك كما أحببته فيه" رواه مسلم وغيره.

وهكذا نجد للهجرة فوائد في الدنيا والآخرة، حين يُحِسُّ المسلم وهو مهاجر بمعيّة الله تعالى، وفضله عليه وكرمه سبحانه.

ومهما طالت الهجرة في الله فهي نعمة خصّها الله عباده الذين أحبهم وأحبوه، وأمرَهم فأطاعوه، ولئن ظنّ أحدهم أن هجرته قد أضرّت به، وأساءت إليه لقد ضعُف إيمانه، واستحوذ عليه شيطانه، ونحن راضون بهجرتنا

أهل العلم

إن من الشعر لحكمة ، وإن من البيان لسحراً .....

روضة المجالس منثور الحكم شعراً ونثراً ، يغتذي منه العقل والقلب ، وتأنس إليه الروح الطيبة والنفس الكريمة ...

فهلمّ إلى روضة من هذه الرياض القشيبة :

١- قالوا : تعلّمْ لا أدري ؛ ولا تعلّم أدري ، فإنك إن قلت لا أدري علّموك حتى تدري ، وإن قلت: أدري سألوك حتى لا تدري .

٢- وقال مالك بن أنس عالم المدينة المنورة : نصف العلم لا أدري .

٣- وقال سفيان الواسطيّ : ذكرتُ رجلاً بسوء عند القاضي إياس المزني،

فقال : أغزوتَ الروم ؟ قلت لا .

قال : أغزوت فارس ؟ قلت : لا .

قال : أغزوت السند والهند والترك ؟ قلت : لا .

قال : أفسلم منك الروم والفرس والسند والهند والترك ، ولم يسلم منك أخوك المسلم ؟! .

قال سفيان : فلم أعد بعدها إلى عيب أحد .

٤- قال وهْب بن منبه : جعلت على نفسي كلما اغتبت إنساناً صيامَ يوم . فلما هان عليّ الصيامُ جعلت على نفسي كلما اغتبت إنساناً صدقةَ درهم ، فثقل عليّ ، فتركت الغِيبة .

٥- قال ابن مسعود رضي الله عنه : ارضَ بما قسم الله لك تكن من أغنى الناس.

واجتنب ما حرّم الله عليك تكن من أورع الناس .

وأدّ ما افترض الله عليك تكن من أعبد الناس .

٦- قال الحسن البصريّ : الدنيا كلها ظلمة إلا مجالسَ العلماء .

٧- سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيّ جلسائنا خير ؟

قال : مَن ذكّركم بالله رؤيتُه .

وزادكم في علمكم منطقُه .

ورغّبكم بالآخرة عملُه .

٨- قال الشاعر : وما بقيَتْ من اللذات إلا محادثةُ الرجال ذوي العقول

٩- سُئل عبيدُ الله بن الحسن العنبريّ عن مسألة ، فغلط فيها ، فلمّا روجع أقرّ وقال : لأن أكون ذنَباً في الحق أحب إليّ من أن أكون رأساً في الباطل .

١٠- من الأقوال التي تُزان بالذهب :

اعلمْ أن من نصحك فقد أحبّك ، ومن داهنك فقد غشّك ، ومن لم يقبل النصيحة فليس لك بأخ .

١١- قال عمر رضي الله عنه :

لا خير في قوم ليسوا بناصحين .

ولا خير في قوم لا يحبون الناصحين .

١٢- قال الشاعر: الشرع أعظم مرشد في ظلمة الشُّبَه البهيمة

والعلم يقفوه ولو لاه لكنا كالبهيمة

فاتْبعهما ، ولمن لحا ك عليهما قل يا بهي مه

١٣- قال عليّ رضي الله عنه : قصم ظهري رجلان : عالم متهتّك ، وجاهل

متنسّك .

١٤- قال الحسن البصريّ : " يا بن آدم ؛ إنما أنت أيام ، إذا ذهب يوم ذهب بعضُك .

١٥- قال الشاعر :

أذان المرء حين الطفل يأتي وتأخير الصلاة إلى المماتِ

دليلٌ أن مَحْياه يسيرٌ كما بين الأذان إلى الصلاة

١٦- كل واحد إن خفتَه هربْتَ منه إلا الله تعالى ، فإنك إن خفته هربتَ إليه قال تعالى : " ففرّوا إلى الله ، إني لكم منه نذير مبين . "

وقال أبو نواس : أيا مَن ليس لي منه مجيرُ بعفوك من عذابك أستجيرُ

أنا العبد المقرّ بكل ذنب وأنت السيد المولى الغفورُ

فإن عاقبتني فبسوء فعلي وإن تغْفِرْ فأنت به جديرُ

أفرّ إليك منك وأين إلاّ إليك يفرّ منك المستجيرُ

١٧- قالوا : المداراة لصلاح الدنيا والدين ، والمداهنة لهلاكهما ، فالأولى للمؤمنين ، والثانية للمنافقين .

١٨- قال الشافعي رحمه الله فيمن يبسط لهم العلم ومن يُحجب عنهم :

أأنثر درّاً بين سارحة النّعَمْ أأنظم منثوراً لراعية الغنمْ

ومن منح الجهّالَ علماً أضاعه ومن منع المستوجِبين فقد ظلمْ

١٩- وقال الشاعر :

هُمُ الرجالُ ، وعيبٌ أن يقال لمن لم يتصف بمعاني وصفهم : رجلٌ

حسن الخلق

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال: "إن الله تعالى اختار لكم الإسلام ديناً، فأكرموه بحسن الخلق والسخاء فإنه لا يكْمُلُ إلا بهما".

وقال الأحنف بن قيس: ألا أخبركم بأدوأِ الداء؟ قالوا بلى قال: الخلق الدنيّ، واللسان البذيّ.

وقال بعض الحكماء: من ساء خلقه ضاق رزقه.

وقال بعض البلغاء: الحسَنُ الخلُق من نفسه في راحة، والناسُ منه في سلامة. والسيء الخلق الناس منه في بلاء، وهو من نفسه في عَناء.

فإن حسنت أخلاق الإنسان كثر مصافوه، وقلّ معادوه. فسهلت عليه الأمور الصعاب، ولانت له القلوب الغضاب. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "حسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار" وقال كذلك: "أحبكم إليَّ أحسنكم أخلاقاً، الموطؤون أكنافاً الذي يَألفون ويُؤلفون.

وصاحب الخلق الحسن سهل العريكة، لين الجانب، طلق الوجه، قليل النفور، طيب الكلمة. وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الأوصاف فقال: "أهل الجنّة كل هينٍ لينٍ سهلٍ طلق".

فكلما كان المسلم متخلقاً بما ذكرنا آنفاً كان قريباً إلى الكمال، ولكون الإنسان خلق من ضعف فقد يبدر منه ضعف يدل على إنسانيته.

قال الشاعر معللاً ذلك متلطفاً:

أصفو وأكدر أحياناً لمختبري وليس مستحسناً صفو بلا كدر

وليس يريد بالكدر البِذاءَ وشراسة الخلق، فإن ذلك ذم لا يستحسن، وعيب لا يرتضى، وإنما يريد الكف والانقباض في بعض المواقف التي يبدو الوفاق فيه والرضا بما يجرى ملقاً ونفاقاً، والملق ذلٌّ. والنفاق لؤم، وليس لمن وُسم بهما ودٌّ مبرور ولا أثر مشكور، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" "شر الناس ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه".

وقال كذلك "لا ينبغي لذي الوجهين أن يكون وجيهاً عند الله تعالى".

ويقول الشاعر رافضاً النفاق:

خلّ النفاق وأهله وعليك فالتمس الطريقا

وارغب بنفسك أن تُرى ألا عدوّاً أو صديقاً

وربما تغيّر حسن الخلق إلى سوئه وبذائه لأسباب عارضة، وأمور طارئة تجعل اللين خشونة، واللطف غلظة، والطلاقة عبوساً، والابتسام تقطيباً.

فمن أسباب ذلك:

أولاً: المناصب والمسؤولية التي تحدث فيمن يتسنمها في أخلاقه تغيراً وعلى خلطائه وأصحابه تنكراً، إما مِنْ لؤم طبع، وإما من ضيق صدر، وقد قيل: مَنْ تاه في ولايته ذلَّ في عزله.

وقيل: ذُلُّ العزل يُضحك من تيه الولاية.

ثانياً: العزل وفقدان الرئاسة الذي يورث سوء الخلق وشدة الأسف على ما فُقد – وحكي أن عمار بن ياسر حين عُزل عن ولايته اشتد ذلك عليه وقال: إنني وجدتها حلوة الرَّضاع، مرّة الفطام.

ثالثاً: الغنى: فقد تتغير به أخلاق اللئيم بَطراً، وتسوء طرائقه أشراً. وقد قيل: من نال

استطال، وأنشد أحدهم في فضح غني مستكبر:

لئن تكن الدنيا أنالتك ثروة فأصبحت ذا يسر وقد كنت ذا عسر

لقد كشف الإثراء منك خلائقاً من اللؤم كانت تحت ثوب من الفقر

ومن أفسده الغنى أصلحه الفقر. فقد كتب قتيبة بن مسلم إلى الحجاج يشكو تطاول بعض الناس عليه فكتب إليه الحجاج أن اقطع عنهم الأرزاق، ففعل، فساءت حالهم فاجتمعوا إليه فقالوا: أقلنا (ارفع عثرتنا) وأظهروا أسفهم، فاستأذن الحجاج في إعادة ما قطعه عليهم، فكتب إليه: إن كنت آنست منهم رشداً فأجرِ عليهم ما كنت تجري، وأعلم أن الفقر جند الله الأكبر، يذل به كل جبار عنيد.

وروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم: "لولا أن الله تعالى أذل ابن آدم بثلاث ما طأطأ رأسه لشيء، الفقر والمرض والموت".

رابعاً: الفقر فقد يسوء به الخلق إما أنفاً من ذل أو أسفاً على فائت الغنى. ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم "كاد الفقر أن يكون كفراً، وكاد الحسد أن يغلب القدر".

وربما تسلّى عن الفقر بالأماني، وقلّ صدقها، ولكن يعتاض بها سلوةً من هم أو مسرة برجاء، قال أبو العتاهية:

حرّك مناك إذا اغتممت فإنهن مَراوح

فقال آخر: إذا تمنيت بت الليل مغتبطاً إن المنى رأسُ أموال المفاليس

خامساً: الهموم التي تذهل اللب، وتشغل القلب فلا تقوى على احتمال، ولا تتحمل الصبر. وقد قيل: الهمُّ كالسُّم.

وقال بعض الأدباء: الحزن كالداء المخزون في فؤاد المحزون.

ورحم الله قائل هذه الأبيات فقد أصاب الصحيح:

همومك بالعيش مقرونة فما تقطع العيش إلا بهمّ

إذا تم أمر بدا نقصه ترقّب زوالاً إذا قيل تمّ

إذا كنت في نعمة فَارْعَها فإن المعاصي تُزيل النعم

وحام عليها بشكر الإله فإن الإله سريع النقم

حلاوة دنياك مسمومة فما تأكل الشهد إلا بسمّ

فكم قدرٍ دبّ في مهلة فما يعلمُ الناسُ حتى هجمْ

سادساً: الأمراض التي يتغير بها الطبع، كما يتغير بها الجسم، فلا تبقى الأخلاق على اعتدال، ولا يقدر معها على احتمال.. قال المتنبي:

آلةُ العيش صحة وشباب فإذا ولّيا عن المرء ولى

أبداً تسترد ما تهب الدنيا فيا ليت جودها كان بخلا

وهذا النبي أيوب عليه السلام جأر إلى الله تعالى بالدعاء، يسأله الشفاء من الداء (وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين، فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين).

فالأمراض ضرٌّ يجعل الإنسان في تعب ومشقة (واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب) وطال عليه المرض فصبر لكن زوجته وسوس إليها الشيطان أن لا تصبري فأقسم أيوب أن يضربها مئة سوط إن شفاه الله.

سابعاً: علوّ السن وحياة الهرم الذي تصاحبه مورثاته فيمل الحياة ويسأمها وتسوء أخلاقه لضعف جسده عن احتمال ما كان يطيقه من أثقال. ويشعر بالإحباط وقلة الحيلة.. قال منصور النمريّ:

ما كنت أوفي شبابي كُنْهَ عزته حتى مضى فإذا الدنيا له تبع

ما كان أقصرَ أيامَ الشباب وما أبقى حلاوة ذكراه التي تدع

ما واجه الشيب من عين وإن رمقت إلا لها نبوة عنه ومرتدع

قد كدت تقضي على موت الشباب أسىً لولا يعزيك أن العمر منقطع

وقال أحدهم:

ليتَ وهل تنفع شيئاً ليتُ ليت شباباً بيعَ فاشتريت

فهذه الأسباب السبعة أحدثت سوء خلق كان عاماً.

لكن البُغضَ الذي تنفر منه النفس الطيبة يحدث نفوراً خاصاً يظل ملتصقاً بالمبغض فيورثه سوء خلق حتى ينجلي البغض وترتاح النفس أو ينقلب البغض حباً وتنبسط الأسارير ويحسن الخلق.

رمضان شهر عظيم

وتمضي بنا الأيام وتتعاقب الأسابيع وتتوالى الشهور.. ويقترب منا شهر الخير والبركة والرحمات، ويعلو حداء المؤمنين ودعاؤهم الخالد: "اللهم بلغنا رمضان".

"اللهم بلغنا رمضان" إنه الحداء الخالد الذي ردَّده الحبيب- صلى الله عليه وسلم- عندما كان يقترب موعد قدوم الشهر الكريم، فقد ورد أن النبي- صلى الله عليه وسلم- كان إذا دخل رجب قال "اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان" (الحديث رواه البزار، والطبراني في الأوسط، والبيهقي في فضائل الأوقات...تربى الصحابة الكرام على هذا الشعار، وعاشوا بهذا الدعاء الخالد، فكانوا يسعون إلى رمضان شوقًا، ويطلبون الشهر قبله بستة أشهر، ثم يبكونه بعد فراقه ستة أشهر أخرى.

"اللهم بلغنا رمضان" إنه حداء التشويق والإعداد لذلك الشهر العظيم، وتلك الغنيمة الكبرى التي لا تعوَّض.

"اللهم بلغنا رمضان" دعاء ورجاء.. يلهج به المسلم قبل قدوم الشهر الكريم؛ طمعًا فيما أعده الله فيه لعباده الصالحين (رحمةً ومغفرةً وعتقًا من النار)، وحرصًا على عدم إضاعته أو تفلته دون استفادة منه.

"اللهم بلغنا رمضان" نداء.. يدرك المسلم دلالاته، فيثير في نفسه الأشجان والحنين إلى خير الشهور وأفضل الأزمنة، فيعد المسلم نفسه للشهر الكريم ويخطط له خير تخطيط..

"اللهم بلغنا رمضان" نداء استغاثة يمثل الخطوة الأولى على طريق إعداد المسلم لنفسه، وتهيئتها لاستقبال الشهر الكريم.

ورمضان شهر كريم

أ – أوله رحمة.

ب – وأوسطه مغفرة.

جـ – وآخره عتق من النار.

ومن فضائله:

١ – أن الله تعالى جعل صيامه ركناً من أركان الإسلام الخمسة.

٢ – ونزل القرآن فيه.

٣ – وفيه ليلة القدر، وهي خير من ألف شهر.

٤ – فيه تضاعف الحسنات وترفع الدرجات. "ومن تقرّب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدّى فريضة فيما سواه، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدّى سبعين فريضة فيما سواه.."

٥ – فيه تفتح أبواب الجنة، وتغلق أبواب النار، وتصفّد الشياطين.

٦ – من صامه إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدّم من ذنبه.

٧ – ومكفرٌ لما بينه وبين رمضان السابق من الذنوب.

٨ – وقيام ليله يكفّر الذنوب السابقة.

٩ – وهو شهر التوبة والمغفرة، وشهر الصبر والجهاد، وشهر الإنفاق والصدقة، وشهر الدعاء والقرآن، وشهر البر والتقوى والعمل الصالح.

ورمضان شهر الانتصارات وهي كثيرة منها:

غزوة بدر الكبرى – فتح مكة ٨ هـ– هدم خالد بيت العزى ٨ هـ– هدم صنم ثقيف ٩ هـ– تبوك (٩)انتشار الإسلام في اليمن ١٠هـ – معركة البويب (يرموك فارس)بقيادة المثنى بن حارثة ١٤ هـ – فتح الأندلس ٩٢هـ – فتح عمورية ٢٢٣هـ موقعة الزلاقة بقيادة

يوسف بن تاشفين ٤٧٩ – معركة عين جالوت ٦٥٨– فتح بلجراد على يد العثمانيين ٩٢٧ هـ – انتصار العثمانيين على الصفويين في معركتي شماهي الأولى وشماهي الثانية ١١– ٢٧ رمضان ٩٨٦هـ – والنصر على اليهود عام ١٣٩٣هـ، الموافق شهر أكتوبر تشرين الأول سنة ١٩٧٣م.

ومن حكم الصوم:

١– أنه يعلم الأمانة ومراقبة الله في السر والعلن.

٢– يعلم الانضباط فنأكل في وقت معلوم ونمتنع عن الأكل في وقت معلوم.

٣– ينمي عاطفة الرحمة والأخوة والشعور بالتضامن والتعاون والقضاء على غائلة الفقر والجوع.

٤– يجدد خلايا الإنسان ويطرح ما شاخ منها، ويريح المعدة وجهاز الهضم، ويتخلص من الفضلات المترسبة والأطعمة غير المهضومة.

قال صلى الله عليه وسلم (صوموا تصِحّوا).

قال طبيب العرب الحارث بن كلده: "المعدة بيت الداء، والحمية رأس كل دواء"

قال لقمان لابنه: يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة، وخرست الكلمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة.

٥– سكون النفس الأمارة وكسر سَورتها في الأعضاء.

قيل: إذا جاعت النفس شبعت الأعضاء، وإذا شبعت جاعت كلها.

٦– جهاد النفس: قال صلى الله عليه وسلم: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج. ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء.

٧ – الصوم طاعة لله، وأداء لفرائضه.

٨ – منهج للتغيير، وأسلوب ممتاز للتدريب.

٩ – يقوي الإرادة والعزيمة، ويربي النفس على الصبر والتحمّل.

١٠ – يحقق الوحدة والمساواة بين المسلمين.

١١ – علامة التقوى واحتساب الأجر عند الله تعالى.

١٢ – يدخل صاحبه الجنة من باب الريان، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "عليك بالصوم، فإنه لا عِدْلَ له".

١٣ – يبعد صاحبه عن النار: قال صلى الله عليه وسلم: "لا يصوم عبد يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم النارَ عن وجهه سبعين خريفاً".

قال صلى الله عليه وسلم في رمضان:

١– رمضان سيد الشهور.

٢– لو يعلم العباد ما في شهر رمضان لتمنى العباد أن يكون شهر رمضان سنة.

٣– أتاكم رمضان شهر بركة، يغشاكم الله فيه، فينزل الرحمة، ويحط الخطايا ويستجيب فيه الدعاء، ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه ويباهي بكم ملائكته، فأروا الله من أنفسكم خيراً، فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله عز وجل.

كيف نقضي أيام رمضان ولياليه"

أفكار عملية لشهر رمضان المبارك وما بعده:

١ – ما رأيك أن تحج وتعتمر مرات كثيرة في رمضان؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم:

أ – من صلى الفجر في جماعة.

ب – ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس

د – ثم صلّى ركعتين. كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة..

٢ – إنّ لصلة الأرحام ثواباً عظيماً، وقد قال صلى الله عليه وسلم:

أ – من أحبّ أن يُبسط له في رزقه

ب – ويُنسأ له في أجله.. فليصل رَحمه.

فما رأيك أن تواصل هذه العادة الحميدة إن كنت واصلاً للأرحام، وأن تستغفر الله تعالى فتواصلها مجدداً إن كنت قاطعاً لها؟!!

٣ – تخلّص من عادة سيئة مثل:

أ – التدخين.

ب – السهر بين القنوات التلفزيونية بلا فائدة.

جـ – الغيبة، والنميمة.

د – الانشغال بعيوب الآخرين والبحث عن عيوب الناس.

٤ – اكتسب عادة حسنة مثل:

أ – حفظ مستمر للقرآن الكريم.

ب – قراءة كتاب مفيد وعلم سديد.

جـ – إصلاح بين متخاصمين.

د – دعوة الأهل والأقارب والأصدقاء إلى طاعة الله تعالى.

هل تعرف آداب الصيام؟

١ – السحور:

أ – قال صلى الله عليه وسلم: "تسحّروا فإن في السحور بركة".

وقال: "إن الله وملائكته يصلّون على المتسحرين".

ب – وقته: من منتصف الليل إلى طلوع الفجر.

٢ – تعجيل الفطر:

أ – قال صلى الله عليه وسلم: "لا يزال الناس بخير ما عجّلوا الفطر"

ب – يفطر الصائم على تمرات فإن لم يجد التمر فعلى الماء..

جـ – ثم يصلي المغرب، وصلاتها في المسجد جماعة أفضل.

د – ثم يأكل بعد الصلاة.

٣ – الدعاء عند الفطر وأثناء الصيام: قال صلى الله عليه وسلم: "إن للصائم عند فطره دعوة لا تردّ". وقال" "ثلاثة لا تُردُّ دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، والمظلوم".

٤ – الكفّ عما يتنافى مع الصيام، فلا يسب ولا يشتم، ويدع قول الزور والعمل به، ويعامل الناس بالخلق الحسن، ويتقي ربه حتى يتقبّل منه صيامه.

٥ – السواك: وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتسوَّك وهو صائم.

٦ – قراءة القرآن ودراسته، وقيام الليل. وكان صلى الله عليه وسلم:

أ – يكثر من قراءة القرآن نهاراً.

ب – يكثر من قيام الليل.

جـ – يجتهد في العشر الأواخر من رمضان مالا يجتهد في غيره.

٧ – الكرم والجود: وهما مستحبان في كل وقت إلا أنهما آكد في رمضان. وكان صلى الله عليه وسلم: أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان.

الدراسة والعبادة في رمضان:

إذا امتلأت البطن ضعف الفكر، وقد قيل قديماً: (البِطنة تُذهب الفطنة" وقال صلى

الله عليه وسلم: "ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يُقمن صلبه".

ودعا صلى الله عليه وسلم إلى التقنين في الطعام فقال: "نحن قوم لا نأكل حتى نجوع، وإذا أكلنا لا نشبع" وعلى هذا كان رمضان خير معين على الدراسة والتفكير، والفهم.

أ – يتخلص الإنسان فيه من أذى الطعام الزائد.

ب – يتخفف من الوزن المعيق عن النشاط.

جـ – يعتاد جسمه تناول الطعام والشراب في أوقات محددة، فتستريح أعضاؤه، ويقل نومه.

د – يتفرّغ لتحصيل العلم والعمل به وهو نشيط.

ومن العجيب أن كثيراً من الناس لا يتفهمون حكمة الصوم، فيعوضون في الليل ما فاتهم من طعام النهار، بل يزيدون، فيترهلون، ويصيبهم الخمول في اليوم كله، ليله ونهاره.. فمن أي القسمين أنت يا صاحبي؟!

أرجو أن نكون جميعاً –معشر المسلمين– من الصنف الأول فرمضان شهر الجهاد، وشهر الصبر، أليس الأمر كذلك؟

أيتها الأم: كيف تكونين أماً رمضانية: أنت أيتها الأخت الكريمة الأم الحانية العطوف لأطفالك، وهم أمانة بين يديك، إن حفظتها كانوا في الدنيا صالحين، فارتحت معهم وسررت بهم، وكانوا في الآخرة ذخراً لك فدخلت معهم الجنة إن شاء الله، ونلت رضاء الله تعالى.

ونذكرك ببعض ما تفعلينه أنت، "فذكّر إن الذكرى تنفع المؤمنين ":

١ – تستيقظين قبل الفجر بساعة فتتوضئين وتصلين ركعتين أو أكثر.

٢ – توقظين أبناءك ليشاركوك قيام الليل قدر استطاعتهم.

٣ – تجهزين سحورهم وتشرفين على ذلك.

٤ – ترسلين الكبار إلى صلاة الفجر جماعة في المسجد، ويصلي الصغار معك في البيت، وتقرئين القرآن وتذكرين الله إلى شروق الشمس، ثم تصلين ركعتي الضحى، فكأنك أديت حجة وعمرة تامة.

٥ – تنامين إن شئت ثم تقومين بواجباتك البيتية.

٦ – تتابعين الأولاد في:

أ – صلاتهم أولاً.

ب – واجباتهم المدرسية ثانياً.

جـ – متابعتهم أخلاقاً وسلوكاً ثالثاً.

د – تشعرينهم بالجو الرمضاني المفيد مثل قراءة القرآن، والحديث الشريف، وسيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام.

٧ – تعودين الأولاد طريقة الإفطار النبوي التي ذكرناها سابقاً.

٨ – تحافظين على صلاة العشاء والتراويح وحضور الدروس في المسجد.

٩ – تنامين مبكرة لتستيقظ الأسرة مرتاحة في يوم رمضاني جديد.

أيها الأب كيف تكون أباً رمضانياً؟

أنت الرجل القدوة والقائد المسؤول عن أسرتك، زوجتِك وأولادك، قال صلى الله عليه وسلم: "الرجل راع في بيته وهو مسؤول عن رعيته". فإن قمت بواجبك نحو أسرتك، ترعاها في مسيرتها الإيمانية إلى الله تعالى وتقودها إلى مرضاة الرحمن فقد أديت واجبك وإلا تفعل فقد ضيّعت الأمانة وخنت العُهدة. والله سبحانه يقول منبهاً ومحذراً: "يا أيها الذين آمنوا

قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة " ويمدح الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه في تربية أولادهم فقال: واذكر في الكتاب إسماعيل أنه:

أ –كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً.

ب – وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة.

جـ – وكان عند ربه مرضياً.

وأذكرك أيها الأب الراعي الواعي الساعي إلى الخير بما ذكرنا به الأم الكريمة بالإضافة إلى:

١ – أن تضع خطة رمضانية ومتابعتها مع شريكة حياتك في صقل الأسرة ودفعها إلى الخير.

٢ – أن تكون القدوةَ، فأنت الرأس والقائد، وأنت المثل الأعلى لمن تعول.

٣ – أن تستمر بعد رمضان على ما عودت الأسرة في رمضان فالله سبحانه رب رمضان ، ورب الشهور كلها.

٤ – أن تستعين بإخوانك الدعاة في تربية الأولاد في المسجد والنادي والجمعيات الإسلامية لينشأ الأولاد في رضا الله سبحانه وتعالى فيتمكن الخير في نفوسهم وهم صغار. قال الشاعر:

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوّده أبوه

وما نال الهدى بحجىً ولكن يعلمه التديُّنَ أقربوه

بعض الاقتراحات المفيدة

ولما كان رمضان شهرًا عظيمًا مباركًا كان الصالحون المؤمنون– وعلى رأسهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم– يستعدون لاستقباله أعظم استقبال، فكانوا ينتظرونه قبل

أن يأتي بـ٦ أشهر ويودعونه بعد انقضائه بـ٦ أشهر، فهيا بنا من الآن نستعد ونهيِّئ أبناءنا لاستقبال هذا الشهر الغالي العظيم المبارك:

١- نبث في أبنائنا روح الأشواق وعبير الذكريات للشهر الكريم: فنحكي لهم قصصًا من الماضي ونشوِّقهم لخير عظيم ينتظرهم في كل مجال، فرمضان مصدر الرحمات، ومنهل الخيرات، ومنبع البركات، وعلى رأس هذا الخير فضل الله العظيم وثوابه الجزيل وعطاؤه المنان.. "كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به".

٢- نذكِّر أبناءنا بالمآثر الرمضانية: المساجد المليئة بالناس، الحافلة بدروس العلم، وصلاة التراويح، واعتكاف العشر الأواخر.. العلاقات الاجتماعية الجيدة والزيارات والولائم الكريمة وجوّ الود وصلة الأرحام.. الحديث عن الانتصارات الرائعة للمسلمين في رمضان عبر التاريخ.. توفيق الله تعالى لعباده الصائمين.

٣- نهيِّئ أبناءَنا لحُسن التعامل مع المسجد الذي يقضون فيه أوقاتًا طويلةً بخلاف بقية العام: فنكلمهم عن آداب المسجد واحترامه وتعظيمه والبعد عن الضوضاء والشغب فيه، ونحرص قدرَ الإمكان على تذكيرهم بهذه الآداب قبل كل مرة يذهبون فيها إلى المسجد.

٤- نصنع جوًّا من السعادة يجعل الطفل يحب الشهر الكريم ويرتبط به: نشتري لهم الهدايا، ونعلق لهم الزينة، ونزيد لهم قدرَ المصروف، وننشر لهم روح البهجة والسرور في كل مكان، ونُشعرهم فرحتَنا وسرورَنا واستبشارَنا بالشهر الكريم.

٥- نبث فيهم روح الاستعداد الإيماني: هيا يا أبنائي نجدد التوبة مع الله تعالى فنقبل عليه ونفتح صفحةً جديدةً.. ولنستعد لاستقبال رمضان بعلاقات طيبة مع بعضنا، فنصلح بين المتخاصمين من أصدقائنا، ونحصل على رضا الوالدين حتى يكرمنا الله بالفضل

العظيم، وحتى لا نُحرم من فضل رمضان الذي يحرم منه المتخاصمون.

٦- نهيئ أبناءَنا فقهيًّا: هيا نهتم بمدارسة آداب وفقه الصيام بطريقة مبسطة قبل بداية رمضان من أجل الاستعداد الجيد للأمر قبل الممارسة بدون علم، وبالتالي تلاشي الوقوع في الأخطاء.. ويمكنك أختاه أن تتعاوني مع بعض الصديقات لجمع الأبناء أو البنات في حلقات لتدريس ذلك أو التنسيق مع بعض المشايخ، مع مراعاة المرحلة السنية للأبناء.

٧- نُعلن عن جوائز تحفيزية عن كل يوم يصومه الابن لتشجيع الأبناء في مرحلة التدريب على الصيام: "بإذن الله من يصوم يومًا هذا العام سنُكافئه بكذا".

٨- نعلن عن احتفالية الصيام لتكريم الصائمين الجدد: فندعو الأقارب والأحباب على وليمة أو حتى حفل شاي أو فاكهة.. كلٌّ على قدر استطاعته، ويتم الاحتفال بالابن أو البنت الصائمة لأول مرة وتقديم الهدايا لهما، وإشعارهما أنهما أصبحا في مرحلة جديدة ومكانة كبيرة؛ بسبب بدء صيامهما هذا العام.

٩- نعقد لقاء أسرياً يضم الزوج والزوجة والأبناء تحت عنوان "هيا نستعد لرمضان"، نجلس معهم، ونتشاور جميعًا عن إعداد برنامج للاستفادة من الشهر الكريم.. و نحفِّزهم وسنجد- بإذن الله- عندهم أفكارًا ظريفةً، ولنحرص معهم في هذا اللقاء على الآتي:

أولاً: نحدد أهدافنا في هذا الشهر الكريم:

مع أنفسنا

مع أسرتنا

مع أرحامنا

مع جيراننا

مع زملائنا في المدرسة

مع أمة الإسلام.

.. وهكذا..

ثانيًا: نضع خطةً زمنيةً بحيث نقوم بتوزيع الوسائل التي تخدم الأهداف التي وضعناها علي أيام الشهر، وتكون مكتوبةً لنتابع أنفسنا فيها أولاً بأول.

ثالثًا: هيا نخطط للآتي:

- برنامج للقرآن الكريم؛ بحيث نستزيد من الكم الهائل من الحسنات المضاعفة، ونحرص على أن نختم القرآن عدة مرات، ونحرص على حفظ قدر من القرآن الكريم يوميًّا.

- برنامج للدعاء: هيا نحدد مطالبنا، ونكتب أدعيتَنا، ونحرص على ترديدها في هذا الموسم العظيم، ولنسأل ربنا- تبارك وتعالى- معاليَ الأمور، فهو الجواد الكريم.

- هيا نخطط برنامجًا للتزود من العلم.

- هيا نخطط برنامجًا للزيارات.

- هيا نخطط للصدقات، ولتحرص الأسرة على زيادة مصروف الأبناء في رمضان لمساعدتهم وتدريبهم على الصدقات وفعل الخيرات.

- هيا نعد برنامجًا لتنظيم الوقت خلال يوم رمضان.. وقت تجلس فيه الأسرة معًا- ساعات النوم- أوقات القراءة- أوقات الزيارة- هيا ننظم شئونَنا ونبتعد عن العشوائية ولا نترك أنفسَنا للظروف.

١٠- نبدأ من الآن بتشجيع أبنائنا- بدءًا من عمر ٧- ٩ سنوات- على بدء التدريب على الصيام ونقول له: بنيَّ الحبيب.. أنت كبرت بفضل الله وتستطيع التحمل، وأنا واثق أنك بإذن الله قادرٌ على الصيام، ولديك القدرة على التحكم في نفسك وتحقيق

البطولة بترك الطعام والشراب خلال يوم الصيام، فأنت تحب الله تعالى والله تعالى يحب الصائمين ويعطيهم أجرًا كبيرًا وعظيمًا، والجنة تتزين للصائمين، وبها بابٌ خاصٌّ للصائمين، اسمُه باب الريان، فهل تريد الدخول منه؟!

وكل رمضان وأنتم بخير

مكانة الصوم العظيمة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به. والصيام جُنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل: إني صائم. والذي نفس محمد بيده لخُلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.

للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه" ((متفق عليه)) .((وهذا لفظ رواية البخاري. وفي رواية له: يترك طعامه، وشرابه، وشهوته، من أجلي، الصيام لي وأنا أجزي به، والحسنة بعشر أمثالها.

وفي رواية لمسلم: "كل عمل ابن آدم يضاعف: الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف. قال الله تعالى: (إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به: يدع شهوته وطعامه من أجلي. للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه. ولخلوف فيه أطيب عند الله من ريح المسك).

لم كان للصيام تلك المكانة ؟

من المعلوم أن الصيام من أركان الإسلام الخمس التي لا يكون الإنسان مسلماً حقيقياً إلا إذا أداها على تمامها . ومن أداها كان له من الثواب الشيء الكثير "كل عمل ابن آدم يضاعف: الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف " إلى أضعاف كثيرة . وهذا فضل كبير من الله الوهّاب المنّان سبحانه وتعالى على عباده الصالحين المحبين المطيعين يدل على أن ابن آدم حين تكون نيته خالصة لله سبحانه وتعالى ينال الأجر مضاعفاً أضعافاً تدل على رضا الله عن عبده ، وسروره بما يفعل . إلا أن الصلاة والزكاة والحج عبادة جهرية . ففي الصلاة

يُرى المسلم كل يوم يؤديها في المسجد أو السوق أو مكان العمل أو السفر . ولا بد للزكاة من صرفها في الوجوه التي حددها الشارع الكريم كلها أو بعضها ويُعلم من يؤديها ومن يتأخر عنها . وكذلك يُعرف من حج بيت الله الحرام وهو قادر ، ومن لم يؤد هذه الشعيرة قادراً أو غير قادر . .. إلا الصيام فهو عبادة سرية بين الله وعبده . فقد يأكل الإنسان ويشرب بعيداً عن أعين الرقباء ومن دون أن يعلم به من البشر أحد ، ثم يخرج إلى الناس صائماً . لا يدري سوى الله تعالى ما فعل .... لذا كان ثواب الصائم عظيماً لا يقدّره إلا الله تعالى . فقال في الحديث القدسي منبهاً إلى عظيم خطر هذا الركن السري " إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به. " فإذا كان جزاء الصوم يقدره الله الجليل كيف يشاء فتصور جليل هذا الجزاء وعظيم هذا الثواب !.

وقد يتساءل أحدنا فيقول : كل الثواب من الله ، حتى الأضعاف من عشرة الأمثال إلى سبع مئة الضعف إلى الأضعاف الكثيرة ، ومنها ثواب الصيام ، فلم قال : إلا الصيام .... وإليك هذا المثال الذي يوضح الفكرة : فقد يقول صاحب العمل لعمّاله – ولله المثل الأعلى – من بدأ عمله عندي فله كذا درهماً في الساعة ، ومن أتقن عمله وظل مثابراً على العمل بجد فلن أنسى إخلاصه وجده ونشاطه وسيلقى مني مايسرّه ويفرحه . ولا شك أن ما يفرحه ويسره ذلك الرضا من رب العمل والمكافأة الكبيرة غير المتوقعة . وقد وضح الله تعالى السبب في قوله في الحديث القدُسي :" : يدع شهوته وطعامه من أجلي " . فامتناع الإنسان عن حقه الطبيعي من طعام وشراب وشهوة في أوقات حددها الشارع العظيم ليعلم الملتزمَ من عباده بأوامره ونواهيه أمرٌ يستحق عند المليك الثواب المجزي والإكرام الزائد – سبحانه من إله كريم – ومن هنا نفهم تخصيص هذه العبادة في قوله تعالى في الحديث :" الصيام لي وأنا أجزي به " .

" والصيام جُنة " فما معنى جُنّة؟ لو عدنا إلى جذر الكلمة " ج ن ن " لوجدناها تعني الخفاء والاستتار . وكل الكلمات المشتقة عنها تعني ذلك . فالجنين : مخفي في بطن أمه ، أو قُبر في الأرض . والجِنُّ : المخلوقات العاقلة غير الإنس لا نراها. والمجنون : من ذهب عقلُه . والمجن : الترس الذي يحمي المقاتل من ضربة السيف أو طعنة الرمح ... والجنة: دار المتقين التي عرّفها الله لنا ولم نعلمها ، والفرق كبير بين المعرفة والعلم " ويدخلهم الجنّة عرّفها لهم " لكنّ الجنّة " فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر " .فالجُنّة : الحفظ من الوقوع في الزلل ، والستر عن مقاربة الإثم ... فكيف ذلك ؟ ألم يقل الشاعر : إن الطعام يقوي شهوة النهم ؟ استقى ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم حين خاطب الشباب فدعاهم إلى الزواج لأنه سنته صلى الله عليه وسلم . فمن استطاع الباءة تزوج ومن لم يستطع نصحه بالصيام فقال : " ومن لم يستطع فعليه بالصيام فإنه له وِجاء " أي وقاء من الوقوع في الزنا وغيره من الفواحش ، فالصوم يخفف من الشهوة ويكسر حدّتَها . والصيام يقي صاحبه من تجاوز حقه ، ويمنعه أن يعتدي على حقوق الآخرين . " فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب " إن من صام راقب الله وعلم أن الله تعالى يراقبه فلم يجرِ الكلام الفاحش على لسانه ، وابتعد عن اللغط واللغو ، ومن صان لسانه أمن الوقوع في المعصية وضمن الجنة كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . والصائم حين يحفظ لسانه يحفظ صومه ويرضي ربه .

فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل: إني صائم " والفرق بين سبّ (فعَلَ) وسابّ (فاعَلَ) واضح . فالفعل الأول قام به واحد ، والفعل الثاني اشترك فيه أكثر من واحد . وفي الفعلين —على هذا الأساس — استفزاز ودفع للمشاحنة ورد الفعل مغاضبةً . وهذه لفتة رائعة تذكر الصائم بأمرين اثنين أحدهما أن في هذه الحياة كثيراً من المفسدين يسعون

إلى الإفساد ما استطاعوا وثانيهما أن على المسلم أن لا ينفعل حين يحاول غيره أن يستجره إلى الشحناء والبغضاء إنما يثبت نفسه بقوله في المرة الأولى إني صائم ، ويتعالى بأخلاقه ، ويسمو حين يكرر ثانية إني صائم . ولعل في هذا الجواب المختصر درساً للمخاصم وتنبيهاً له إلى التحلي بالشمائل الحميدة .

ويسن للصائم أن يتسوّك ليخفف من رائحة الفم كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم، هذه الرائحة التي سببها الصيام وطاعة الله تعالى هي عند الله سبحانه أطيب من الروائح العطرة النفّاذة ، ويقسم النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك " . والذي نفس محمد بيده لخُلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك." وينبغي أن ننبه إلى أمرين اثنين : أما أولهما فما ينتج عن الصيام من رائحة" خُلوف " للفم مقبول بقبول الصيام . وأما ثانيهما فما ينتج من رائحة بسبب تسوس الأسنان أو تخمر ناتج عن بقايا الطعام فليس مقبولاً . وعلى المسلم أن ينظف فمه وأسنانه كي لا يؤذي الناس ببخر فمه .

من يعبد الله تعالى ويخلص له في عبادته يشعر بسعادتي الدنيا والآخرة . فما الذي يناله الصائم إن صام؟ " للصائم فرحتان يفرحهما " متى هذا ؟ إنهما في الدنيا وفي الآخرة.

أما في الدنيا فحين ينتظر لحظة الغروب ودنوّ ساعة الإفطار ، يجلس مع أسرته أو أهله أو أحبابه وأصدقائه يدعون الله تعالى أن يتقبلهم في عباده الصالحين ، وأن يرضى بصيامهم وأن يجزيهم عليه خير الجزاء . .... يفرح المسلم أنه أطاع الله تعالى حين صام وصلى ودنت ساعة الإفطار دون أن يعصي الله ، وهو الآن يتوج هذا الصيام بالإفطار على مائدة الرحمن يسأله العفو والمغفرة والرحمة والعتق من النار ودخول الجنة .... يفرح أن الله تعالى أعانه على الطاعة ويسأله تمام الفضل وحسن الخاتمة ..

وأما في الآخرة فحين يقف بين يدي الله تعالى خائفاً ذنبه ، وراجياً عفوه ومغفرته

خائفاً من غضب الله وعذابه وناره ، وراجياً رضاه وفضله وجنته ، فيحوطه الكريم بنوره ويستره بستره ، فيعرض عليه عمله ولا يحاسبه " من نوقش الحساب فقد هلك " بل يقول له الرحمن الرحيم الجواد الكريم : سترت عليك في الدنيا وها أنذا أسترك في الآخرة ، وأبدل سيئاتك حسنات ، وأعفو عنك با عبدي .. فأنا الكريم ، وقد وعدتك أن تفرح إذا عبدتني وأطعتني ، ألم توحدني فلم تدع إلهاً سواي ؟ ألم تكن تؤدي صلواتك الخمس ترجو رحمتي وتتعوذ من غضبي ؟ ألم تقم الليل في ذكري ؟..... ألم تصم رمضان ترجو ثوابي ، وقد آن أن تفرح كما وعدتك يا عبدي ؟ يا جبريل إني قد رضيت عنه فارض عنه ... فينادي جبريل إن فلاناً سعد سعادة لا شقاء بعدها

اللهم رب السموات والأرض يا من يجيب المضطر إذا دعاه تقبل صيامنا وصلاتنا وزكاتنا ، واقبلنا في عبادك الصالحين ،وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ، واعتق رقابنا من النار وارزقنا الجنة بفضلك وكرمك يا أكرم الأكرمين ... واجمع كلمة المسلمين على أتقى قلب رجل منهم . وأرنا عجائب قدرتك في أعدائك وأعدائنا ، وانصرنا عليهم .. اللهم آمين يارب العالمين .

سبحانك يا غفار

قالوا : إن أرجى آية قوله تعالى في سورة الزمر الآية ٥٣ " قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم : لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً ، إنه هو الغفور الرحيم " واستدلوا على ذلك من الآية نفسها بما يلي :

١-" قل ": بما بعدها من الرحمة والتلطف تفيد البشرى من الله تعالى .

٢- " يا عبادي " نداء يدل على التحبب فـ " العباد " غير " العبيد " وقد وردت العباد- في القرآن - للتكريم، والعبيد للتهديد. فهي إبتداء أمن وأمان وداعية للغفران

٣- " الذين أسرفوا على أنفسهم " ولو قال: أحسنوا لأنفسهم قلنا هم يستحقون اللطف والبشرى لما قدّموا من عبادة لربهم وتفان في الإخلاص له سبحانه . لكن الخطاب لمن أساء وأخطأ وازداد عصياناً ، وانغمس في الفواحش والمفاسد . ثم حين انتبهوا لما قدّموا تحسّروا على ما فاتهم ، وأحسوا أن زمن التوبة تجاوزهم فأصابهم الغم والهم ، ويئسوا من رحمة الله ، وظنوا أن مأواهم النار وغضب الله لا محالة . وأن ما مضى من عظيم ذنوبهم لا يؤهلهم للتوبة والإنابة . فازدادوا غماً على غم وهما على هم . وربما زين الشيطان لهم — ما داموا قد سقطوا ولا نجاء لهم — أن يسرفوا في المعاصي وأن يجترئوا عليها أكثر مما اجترءوا . وعلى هذا يطمئن الشيطان أن مصيرهم ارتبط به، وأنهم مثله من أهل النار خالدين فيها.

٤- " لا تقنطوا من رحمة الله " فتنتعش نفوسهم ، ويحيا الأمل فيها ، وينتبهون إلى أن القطار لم يفتهم ما لم يغرغروا . فيتوبون إلى الله ويستغفرونه ، ويسألونه العفو والمغفرة عما مضى من ذنوبهم ، وأن يعينهم على استدراك ما فات من عظيم أخطائهم ... ولكنها أمثال الجبال فهل يتجاوز الله تعالى عن كل ذلك ؟! فيجيبهم غفار الذنوب وستار العيوب

والمنعم المتفضل سبحانه :

٥- " إن الله يغفر الذنوب جميعاً " يغفرها كلها صغيرها وكبيرها ، خطيرها وحقيرها، دِقَّها وجليلها حين يقبل المرء عليه معترفاً بتقصيره ، مقراً بجريرته ، عازماً على التوبة ، نادماً على مافرّط . فكَرَمُ الجليل جليل ، وغفران الكبير كبير ، وعفو العظيم عظيم. ولكنهم كانوا في الغي سادرين ، وفي الضلالة سائرين ! فيجيب الرب الكريم منبهاً عن صفتين من صفاته واسمين من أسمائه يدلان على جميل نعمائه وحسن عطائه :

٦- " إنه هو الغفور الرحيم " فهو يغفر لأنه رحيم ، ويرحم لأنه غفور . ولا يسد خللَ عباده وضعفَ حيلتهم ونقصَ خليقتهم إلا كمالُ صفاته وجليلُ معروفه .

هذا ما قاله العلماء وأحسِنْ بما قالوا . إلا أنني أجد آية سبقت أختها في السورة نفسها – الزمر – الآية ٣٥ أكثر رجاء – والله أعلم – يقول المولى تعالى فيها : " ليكفر الله عنهم أسوأ ما عملوا ، ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون "

وتصور معي – أخي الحبيب – أنني وإياك اجترحنا سيئات صغيرة وكبيرة ، وعملنا حسنات كبيرة وصغيرة أيضاً . ونحن بشر نصيب ونخطئ ويقوى إيماننا ويضعف . وما منا إلا مرّ بمثل هذا " كل ابن آدم خطّاء " ثم نتوب حين نعود إلى أنفسنا وينجلي غشاء النسيان ووسوسة الشيطان فنحاسبها " إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون " الأعراف ٢١٠ . فنحسن العمل خائفين راجين ، راهبين راغبين . فماذ يفعل الإله العظيم سبحانه حين يرانا عليه مقبلين ، وعن أخطائنا راغبين ؟ .. عد إلى الآية واقرأها متمعناً متيقنا بما فيها ترَ الله تعالى – جلّ من كريم مفضال- يكرمُنا بخصلتين رائعتين رائعتين :

الأولى : أنه يمسح الذنوب العظيمة الثقيلة ، وكأنها لم تكن . فأين الذنوب الصغيرة ؟

" اللمم" إنه يمسحها من باب أولى ، فإذا غفر الكبائرَ فانتهى أمرُها ، أتراه يحاسبنا على الصغائر؟ ! بل إنها ممحُوّةٌ سلفاً قبل الموت بإذن الله ، بل في اللحظة والتو . لقول النبي صلى الله عليه وسلم " الصلوات الخمس . والجمعة إلى الجمعة . ورمضان إلى رمضان . مكفرات ما بينهن . إذا اجتنب الكبائر "

الثانية : أنه سبحانه حين يجزينا الثواب – وهناك حسنات صغيرة وأخرى كبيرة ، والعادة عند البشر أن لكل عمل ثواباً بما يناسب العمل نفسه – يجعلها كلها بأجر أفضل الأعمال . نعم يجزينا أعمالنا الحسنة بأفضل الثواب وخير الجزاء .

فما أعظم لقاء الله ! وما أكرم فضله وأعظم خيره !

اللهم إننا نحبك ، ونحب لقاءك ، ونرجو الخير في ذلك اليوم العظيم .. اللهم اجعل خير أعمالنا خواتيمها ، وخير أيامنا يوم لقائك .

شعر أبي أسامة "معاوية بن زهير"

قال أبو أسامة ، معاوية بن زهير بن قيس بن الحارث بن سعد بن ضبيعة بن مازن بن عدي بن جشم بن معاوية حليف بني مخزوم قال ابن هشام : وكان مشركا وكان مر بهبيرة بن أبي وهب وهم منهزمون يوم بدر وقد أعيى هبيرة ، فقام فألقى عنه درعه وحمله فمضى به قال ابن هشام : وهذه أصح أشعار أهل بدر

ولما أن رأيت القوم خفوا وقد شالت نعامتهم لنفرِ

وأن تركَت سراة القوم صرعى كأن خيارهم أذباح عِترِ

وكانت جمّةٌ وافت حِماماً ولُقينا المنايا يوم بدرِ

نُصَدُّ عن الطريق وأدركونا كأن زُهاءَهم عيطان بحرِ

وقال القائلون مَنِ ابنُ قيسٍ؟ فقلت: أبو أسامةَ غير فخرِ

أنا الجُشمي كيما تعرفوني أبيّن نسبتي نَقراً بنقرِ

فإن تكُ في الغلاصم من قريشٍ فإني من معاوية بن بكرِ

فأبلغْ مالكاً لما غُشينا وعندك مالَ إن نبّأت خبْري

وأبلغ – إن بلغْتَ– المرءَ عنا هبيرةَ ، وهو ذو علم وقدْر

بأني إذ دُعيتُ إلى أفيدٍ كرَرْتُ ولم يضق بالكرصدري

عشيّةَ لا يُكرُّ على مضافٍ ولا ذي نعمة منهم وصهرِ

فدونَكُمُ – بني لأيٍ – أخاكم ودونكِ مالكاً يا أم عمروِ

فلولا مشهدي قامت عليهِ موَقفةُ القوائم، أمُّ أجرِ

دفوعٌ للقبور بمنكبيها كأن بوجهها تحميمَ قِدْرِ

فأقسم بالذي قد كان ربي وأنصابٍ لدى الجمَرات مُغْرِ

لسوف ترون ما حسبي إذا ما تبدّلتِ الجلودُ جلودَ نمْرِ

فما إن خادرٍ من أُسْد ترجٍ مُدِلٍّ عنبسٍ في الغيل مُجري

فقد أحمى الأباءَةَ من كُلافٍ فما يدنو له أحد بنقرِ

بخلٍّ تعجز الحلفاء عنه يواثب كلَّ هجهجَةٍ وزجرِ

بأوشك سَورةً مني إذا ما حبَوْتُ له بقرقرةٍ وهدْرِ

ببيض كالأسنة مرهفات كأن ظُباتهنّ جحيمُ جمْرِ

يقول ليَ الفتى سعدٌ هدِيّاً فقلت: لعلّه تقريبُ غدْرِ

إضاءة :

رأى المشركين منهزمين يوم بدر – وهو بدوي مشرك – فاستغل هروبهم وضعفهم وسلب منهم بعض أسلحتهم التي بقيت في أيديهم . ومن بينها درع هبيرة بن أبي وهب.

وعلى الرغم أنه حليف للمشركين لم يراعِ حلفهم حين سنحت له الفرصة أن ينال شيئاً.

يصف الشاعر هروب المشركين " شالت نعامتهم " أمام المسلمين الذين دهموهم كموج البحر العالي الهائج "كأن زهاءهم عيطان بحر " وقتلوا سادة المشركين وذبحوهم كما تذبح القرابين أمام صنمها " عِتر ".

ثم يفخر الشاعر بنفسه : فهو من بني جشم ، من معاوية بن بكر . ولن يعلوه سادة قريش إن طاولوه بأنسابهم " أبين نسبتي نقراً بنقرٍ" وهو بطل صنديد يكر على عدوه بشجاعة وعزم ، وأنه يحمي العشيرة أن تُذَلّ .. ومن صور الذل أن القتيل إذا تُرك في العراء جاءت الضبع الشبقة تواقعه قبل أن تأكله..

فلولا مشهدي قامت عليه موقفة القوائم أم أجر

والأجر جمع "جرو "كما الأدل جمع" دلو ".

ثم هو صنو الأسود يخرجها من عرينها ويواثبها ويقضي عليها . وهو يرفل في حمائله مشابها مشية السبع في أرضه، لا يخاف ولا يخشى أحداً.

غرس الثقافة في الجيل الجديد

لو سألت نفسي هذا السؤال: هل انخفض مستوى التعليم في بلادنا على ما يسمى كثرة الوسائل التعليمية أو تحسّن؟ فإني أزعم ما يلي:

١- أعتقد أن انخفاض مستوى الثقافة لدى الشباب يعود لأمور عدة

أولها : الدراسة التجارية : فأغلبهم يدرس المقررات الدرسية التي تؤهلهم للنجاح دون الاهتمام بالثقافة العامة ، وقد ينسى ما درسه حين ينتهي منها إلا المهتم منهم بمادته ، وقليل ما هم .

ثانيها: ضعف الانتماء البيئي والحضاري : فمن ينتمي لبلده حضارة وثقافة وديناً واجتماعاً يسعى إلى إثراء نفسه بهذا الجانب كي يكون- بحق- لبنة صالحة في مجتمعه .

ثالثها: عدم توفر الكتاب : والمقصود بهذا " ثمن الكتاب المرتفع " الذي لا يوازي دخل الفرد في بلد فقير لايكاد يفي بالمتطلبات الضرورية .

رابعها: ضخامة المنهاج الدراسي : الذي يشغل الطالب عن المطالعة الخارجية . (قراءة غير المقررات) .

٢- من الأخطاء القاتلة التي يقع فيها القائمون على التعليم – وهم يظنون أنهم على صواب –كثرة الاهتمام بالوسائل التعليمية بشكلُ مِمج وملفت للنظر على حساب الكتاب ، كأنُ يقرأ النص من الحاسوب أو اللوحة الكرتونية أو من السبورة ، وكان الأولى أن يُؤخذ من الكتاب فقط ، وإلا انعدمت فائدته أو ضعفت . وأكبر دليل على ذلك ما نشكوه من ضعف العلاقة بين الطالب وكتابه ...

ومن المؤسف أن تقييم جهد المدرس انصب على استعمال الوسائل المعينة فمَن أكثرَ

منها اعتبر ناجحاً في مهمته ، ومن قلل من شأنها اعتُبر بدائي الوسائل ، ونُبِّه إلى ذلك ، فانصب جهد المدرس –كما نوّهت سابقاً – على التظاهر بما ثبت فشله .... وآكَدُ دليل على ذلك ضعف التعليم العام الذي يشكو الجميع منه .

إن الآصرة بين الطالب والكتاب تقوى بالتزامه التزاماً قوياً، فتكون القراءة الأصيلة المتعمقة فيه لا في غيره ، ونثبت النظر فيه أكثر، لا في الوسائل التي ثبت أن أغلبها ديكور ليس غير .

٣- ولعل انتشار الحاسوب واستعمال الانترنت ساعد على الزهد في الكتاب ، فالانترنت أكثر جاذبية ، وأسهل لجمع المعلومات ، يجمع بين الجد والهزل ، والفائدة والتسلية ، واللعب والعلم ، ويأخذنا إلى عالم التنويع ، ويفلتنا من عقال الأسر ، ويجمعنا بمن نريد ومن لا نريد ! منه نأخذ واجباتنا دون عناء ،،،، كبسة على أحد الأزرار تساعدنا في الوصول إلى البحوث التي نُطالَب بها ، فليس علينا سوى ترتيبها وطباعتها !.. نقدمها مادة سهلة لم نتعب فيها ، ولم نفهمها ! ونظن أننا أدينا الواجب الدرسي ! إن الثقافة الانترنيتية – إن اعتبرت ثقافة – لهي سطحية لا تخلق جيلاً قارئاً متمكناً إلا ما ندر .

٤- ولعل انعكاسات انخفاض المستوى الثقافي خطيرة على المجتمع ، فهي تؤدي إلى نتائج سلبية قاتلة منها :

- ضعف البنية الثقافية للمجتمع والتحول إلى الأمية أو شبهها ، أو بعنى آخر تخلق جيلاً يحمل شهادات يحتاج حاملها إلى دورات محو الأمية !.

- كثرة أنصاف المتعلمين الذين يعتبرون عبئاً حقيقياً على المجتمع ، فهم محسوبون على العلم وأهله ، وليسوا أهلاً للارتقاء بالأمة لقربهم من الأمية .

- الاهتمام بالقشور ، والتخلف عن ركب العلم المفيد . ومن ثمّ الوقوع السهل

فريسة للطامعين فيسيئون من حيث يظنون الإحسان .

٥- وعلى هذا أهمس بصوت عالٍ في آذان القائمين على العلم والمهتمين به والغيورين عليه أن يجعلوا الكتاب:

- غايتهم الأولى نشراً وتوزيعاً بثمن قريب إلى دخل القارئ .

- الاستعانة بالمؤسسات الخيرية الداعمة للكتاب المفيد .

- اعتماد الكتاب المدرسي الوسيلة الأولى للعلم والدرس ، فهو الذي يبقى رفيقه في البيت وقاعات الدرس والمطالعة .

- إجراء المسابقات الداعمة لقراءة الكتاب تحليلاً ودراسة وتلخيصاً .

- اعتماد الكتاب جوائز للمسابقات ، وهدايا لبيوت الأصدقاء بدل المأكولات والحلويات ، فما أكثر المطاعم وأقل المكتبات .

- الاهتمام بالمكتبة البيتية ، ودعمها المتوالي بالكتب النافعة والمفيدة .

- اعتماد قراءة فقرة من كتاب في السهرات للتخفف من اللغو ولتحصيل النفع والفائدة في كل لقاء . فالوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك ، والمسلم الجاد لا يضيع وقته بالترّهات والأباطيل .

غفران الذنوب

قال تعالى في سورة الفرقان:

إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفوراً رحيماً:

. وَفِي صَحِيح مُسْلِم عَنْ أَبِي ذَرّ قَالَ : قَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنِّي لَأَعْلَم آخِر أَهْل الْجَنَّة دُخُولًا الْجَنَّة وَآخِر أَهْل النَّار خُرُوجًا مِنْهَا رَجُل يُؤْتَى بِهِ يَوْم الْقِيَامَة فَيُقَال اِعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَار ذُنُوبه وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارهَا فَتُعْرَض عَلَيْهِ صِغَار ذُنُوبه فَيُقَال عَمِلْت يَوْم كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا وَعَمِلْت يَوْم كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا فَيَقُول نَعَمْ لَا يَسْتَطِيع أَنْ يُنْكِر وَهُوَ مُشْفِق فِي كِبَار ذُنُوبه أَنْ تُعْرَض عَلَيْهِ فَيُقَال لَهُ فَإِنَّ لَك مَكَان كُلّ سَيِّئَة حَسَنَة فَيَقُول يَا رَبّ قَدْ عَمِلْت أَشْيَاء لَا أَرَاهَا هَاهُنَا) فَلَقَدْ رَأَيْت رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذه . وَقَالَ أَبُو طَوِيل : يَا رَسُول اللَّه ، أَرَأَيْت رَجُلًا عَمِلَ الذُّنُوب كُلّهَا وَلَمْ يَتْرُك مِنْهَا شَيْئًا ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ لَمْ يَتْرُك حَاجّة وَلَا دَاجّة إِلَّا اِقْتَطَعَهَا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَة ؟ قَالَ : (هَلْ أَسْلَمْت) ؟ قَالَ : أَنَا أَشْهَد أَنْ لَا إِلَه إِلَّا اللَّه وَحْده لَا شَرِيك لَهُ ، وَأَشْهَد أَنَّك عَبْد اللَّه وَرَسُوله . قَالَ (نَعَمْ . تَفْعَلِ الْخَيْرَات وَتَتْرُكِ السَّيِّئَات يَجْعَلْهُنَّ اللَّه كُلّهنَّ خَيْرَات) . قَالَ : وَغَدَرَاتِي وَفَجَرَاتِي يَا نَبِيّ اللَّه ؟ قَالَ : (نَعَمْ) . قَالَ : اللَّه أَكْبَر ! فَمَا زَالَ يُكَرِّرهَا حَتَّى تَوَارَى . ذَكَرَهُ الثَّعْلَبِيّ . قَالَ مُبَشَّر بْن عُبَيْد ، وَكَانَ عَالِمًا بِالنَّحْوِ وَالْعَرَبِيَّة : الْحَاجّة الَّتِي تُقْطَع عَلَى الْحَاجّ إِذَا تَوَجَّهُوا . وَالدَّاجّة الَّتِي تُقْطَع عَلَيْهِمْ إِذَا قَفَلُوا .

قال تعالى في سورة هود:

وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل ، إن الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك

ذكرى للذاكرين ، واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين

وقال تعالى في سورة الإسراء

أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل ، وقرآن الفجر ، إن قرآن الفجر كان مشهودا

غاب النبي صلى الله عليه وسلم عن ثوبان خادمه ، وكان شديد الحب له قليل الصبر عنه ، وحين أتاه رآه قد تغير لونه ونحل جسمه ، يُعرف في وجهه الحزن ، فقال له : " يا ثوبان ، ما غيّر لونك ؟ " فقال: يا رسول الله ما بي ضر ولا وجع ، غير أني إذا لم أرك اشتقت إليك واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ، ثم ذكرت الآخرة ، وأخاف أن لا أراك هناك ، لأني عرفت أنك تُرفع مع النبيين ، وأني إذا دخلت الجنة كنتُ في منزلة هي أدنى من منزلتك ، وإن لم أدخل فذلك حينٌ لا أراك أبداً . فأنزل الله تعالى {وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} الآية ٦٩ سورة النساء

وأُسند عن مسروق قال : قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ينبغي لنا أن نفارقك في الدنيا ، فإنك إن فارقتنا رُفعت فوقنا . فأنزل الله هذه الآية ..

أي في دار واحدة ونعيم واحد ، يستمتعون برؤيتهم والحضور معهم ، لا أنهم يساوونهم في الدرجة ، فإنهم يتفاوتون . يتزاورون للاتباع في الدنيا والاقتداء . وكلٌّ مَن في الآخرة رُزق الرضا بحاله ، وذهب عنه اعتقاد أنه مفضول . قال الله تعالى : " ونزعنا ما في صدورهم من غل ، إخواناً على سرر متقابلين " الآية ٤٧ سورة الحجر

وقالت طائفة : إنما نزلت هذه الآية لما قال عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري – الذي أُري الأذان – يا رسول الله ، إذا متَّ ومتنا كنتَ في علّيين لا نراك ، ولا نجتمع بك . وذكر حزنه على ذلك . .. وذكر مكي عن عبد الله هذا أنه لما مات النبي صلى الله عليه وسلم قال : اللهم اعمني فلا أرى شيئاً بعده ، فعمي مكانه .عن القرطبي رحمه الله .

في رحاب المصطفى (١)
رحمته بأمته وهو في مرض الموت

روى ابن مسعود رضي الله عنه قال:

اجتمعنا في بيت أمنا عائشة رضي الله عنها ، فنظر إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدمعت عيناه ، فتشدّد (تقوّى متحاملاً على نفسه) فنعى إلينا نفسه حين دنا الفراق ، فقال : " مرحباً بكم ، حياكم الله ، جمعكم الله ، نصركم الله ، رفعكم الله ، نفعكم الله ، وفقكم الله ، قبلكم الله ، هداكم الله ، سلمكم الله ، أوصيكم بتقوى الله ، وأوصي الله بكم . لا تعلوا على الله في عباده وبلاده ، فإن الله قال لي ولكم : " تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً ، والعاقبة للمتقين " وقال : " أليس في جهنم مثوىً للمتكبرين " " قلنا : يا رسول الله متى أجَلُك ؟ قال : " دنا الأجل، والمنتهى إلى الله عز وجل ، وإلى سدرة المنتهى ، وإلى جنة المأوى والعرش الأعلى " قلنا : يا رسول الله ، فمن يغسلك ؟ قال : " رجال أهل بيتي ، الأدنى فالأدنى " قلنا يا رسول الله فبم نكفنك ؟ قال : " في ثيابي هذه ، إن شئتم ، أو يمنية أو بياض مصر " . قالت عائشة "كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة أثواب بيض يمانية كُرسُف (قطن) ليس فيها قميص ولا عمامة " قلنا يا رسول الله ، فمن يصلي عليك ؟ .. وبكى وبكينا .. فقال : " مهلاً ، غفر الله لكم ، وجزاكم عن نبيكم خيراً ، إذا غسلتموني وكفّنتموني فضعوني على شفير قبري ، فإن أول من يصلي عليّ خليلي وجليسي جبريل ، ثم ميكائيل ، ثم إسرافيل ، ثم ملَك الموت ، مع ملائكة كثيرة . ثم ادخلوا فصلوا عليّ وسلّموا تسليماً ، ولا تُؤذوني بتزكية ، ولا بِرَنّة (العويل والبكاء) ولا بصيحة . ولْيبدأ

بالصلاة عليّ رجال أهل بيتي ، ثم نساؤهم ، ثم أنتم . وأقرِئوا أنفسكم السلام كثيراً . ومن غاب عني من أصحابي فأقرئوه سلاماً كثيراً . ألا وإنّي أشهدُكم : أني قد سلّمتُ على كل من دخل في الإسلام ، وعلى من تابعني في ديني من اليوم إلى يوم القيامة ." قلنا : يا رسول الله ، فمن يُدخلك في قبرك ؟ قال : " رجال أهل بيتي ، مع ملائكة كثيرة يرونكم من حيث لا تروهم ."

رواه أبو نعيم في حلية الأولياء وقال : هذا حديث غريب من حديث مرة بن عبد الله، لم يروه متصل الإسناد إلا ابن الأصبهاني عبد الملك بن عبد الرحمن . وكذلك رواه محمد بن جعفر المدائني .

في هذا الحديث كثير من العبر والعظات نركز على بعضها فنقول ، وبالله المستعان ، ومنه التوفيق :

- أدب الصحابة مع رسولهم صلى الله عليه وسلم حين دعاهم فاجتمعوا في بيته ، ينصتون لما قد يقول صلى الله عليه وسلم .

- أدبهم واحترامهم لأمهات المؤمنين رضوان الله تعالى عليهم (في بيت أمنا عائشة) – وهم أكبر منها سناً – لأنها زوج المصطفى ، واحترامها وتقديرها من احترامهم للنبي العظيم وتقديرهم إياه صلى الله عليه وسلم . ولقوله تعالى " وأزواجه أمهاتهم " .

- رحمة النبي العظيم والقائد الكريم بأصحابه وحبه إياهم يتجلى في أمور عديدة منها:

دمع عينيه لفراقهم مع أنه منتقل إلى الرفيق الأعلى وإلى ملإ خير منهم .

التحيات التي أغدقها عليهم ، النابعة من قلبه الشريف .. مرحباً بكم ، حياكم الله .. نصركم الله .. رفعكم الله ..وفقكم الله .. قبلكم الله .....

نعيُه نفسه إليهم .. وهذا دليل على الحب المتبادل بينه صلى الله عليه وسلم وبين أصحابه الكرام رضوان الله عليهم . الحاضرين منهم والغائبين .. كما يعلمهم أن يحبوا إخوانهم حين أعلن صلى الله عليه وسلم أنه يُقرئ السلام على كل من دخل في الإسلام إلى يوم القيامة ... وقد وصلنا منه السلام ...صلى الله عليه وسلم .

- الواقعية الراضية بقدر الله تعالى تتجلى في أمور عدة ، منها :

أنهم حين علموا بدنو أجله صلى الله عليه وسلم بدأوا يسألونه ما ينبغي عليهم أن يفعلوا ، فلم تضع عقولهم ولم يطش صوابهم ، بل كانوا واعين لما ينبغي أن يكون فسألوه متى أجلك – ولم يقولوا : طال عمرك ، فهو لن يطول و لكل أجل كتاب ز وسألوه صلى الله عليه وسلم من يغسله ، وبم يكفّنونه ؟ ومن يصلي عليه أولاً ، ومن يدخله قبره ؟ مع أنهم كانوا في أشد الوجد والحزن لفراقه صلى الله عليه وسلم . وقد بكى صلى الله عليه وسلم لفراقهم ، وبكوا لفراقه ، ولكنه بكاء من يعلم أن كل نفس ذائقة الموت ، وأن لقاء الأحبة في رحاب الله تعالى لا بد منه ، وان الدنيا سحابة صيف . فلا عويل ولا لطم ولا صراخ . إنما الرضاء بقدر الله تعالى بعض سمات المسلم التقي .

- التعليم والتعلم حتى اللحظة الأخيرة ، فهو صلى الله عليه وسلم يعلمهم ، ويتلقى أسئلتهم ، وهم رضوان الله عليهم لا يفتأون يسألون ويتعلمون ، ولم يمنعهم الموقف أن يستفسروا ويتعلموا .

- توفي النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعهد لأحد بالخلافة .. لا لقريب ولا لبعيد ، فقد ترك فيهم كتاب الله وسنته صلى الله عليه وسلم . فإن التزموهما فازوا ورشدوا .. وهكذا كان الخلفاء الراشدون من بعده . وما نراه خلاف ذلك دليل على الانحراف عن المنهج والبعد عن السبيل القويم .

في رحاب المصطفى (٢)
حين موته صلى الله عليه وسلم

روى البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس على المنبر فقال : " إن عبداً خيّره الله تعالى بين أن يُؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده، فاختار ما عنده " فبكى أبو بكر وقال : " فديناك بآبائنا وأمهاتنا " فعجبنا له . وقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ ! يخبِر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خيره الله بين أن يُؤتيه زهرة الحياة الدنيا وبين ما عنده ، وهو يقول : فديناك بآبائنا وأمهاتنا . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخيَّر ، وكان أبو بكر هو أعلمَنا به . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنّ مِن أمنّ الناس عليّ في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متّخذاً خليلاً مِن أمتي لاتّخذتُ أبا بكر ، إلاّ خُلّةَ الإسلام . لا يَبْقَيَنّ في المسجد خَوخة إلا خوخةَ أبي بكر " والخوخة المدخل أو المخرج الخلفي الخاص لأهل البيت .. وكان الناس حول المسجد قد فتحوا لبيوتهم مداخل صغيرة إليه فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بسدّها .

وحين مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم مرض الموت واشتدّ عليه ولم يستطع أن يصلي بالناس أمر أبا بكر أن يصلي بهم .

ثم لما وجد في نفسه خفّة أمر أهله أن يهريقوا عليه سبع قِرَب لعل حرارة جسمه تخف فيخرج إلى الناس فيعهد إليهم . ففعلوا ذلك فخرج للناس وصلى بهم وخطبهم واستغفر للشهداء من أصحاب أُحد وأوصى بالأنصار خيراً ، قال : " أما بعدُ يا معشر المهاجرين ، فإنكم قد أصبحتم تَزيدون ، وأصبحت الأنصارُ على هيئتها ، لا تزيد على هيئتها التي

عليها اليوم ، والأنصار عيبتي (أهل ثقتي وسري) التي أويتُ إليها فأكرموا كريمهم ، وتجاوزوا عن مسيئهم ." .

وفي اليوم الذي قبض فيه صلى الله عليه وسلم في صلاة الصبح وأبو بكر يصلي بالناس لم يفجَأهم إلا نبيُ الله صلى الله عليه وسلم قد كشف ستر حجرة عائشة ، فنظر إليهم وهم صفوف ، ثم تبسَم ، فضحك ، فنكص أبو بكر إلى الصف ، وظنّ أن النبي يريد الخروج إلى الصلاة ، وهمّ المسلمون أن يفتَتِنوا في الصلاة فرحاً برسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه ، فأشار إليهم أن أتِمّوا صلاتكم . ودخل الحجرة ، فأرخى الستر بينه وبينهم .

ولما انتهت الصلاة أقبل أبو بكر بوجهه على النبي يقول له : يا نبي الله ، إنك أصبحت بنعمة وفضل ، واليوم يوم ابنة خارجة (زوجته الأخرى) في السنح قال : " فأْتِ أهلك " وقام النبي فدخل حجرته ، وخرج أبو بكر إلى أهله .

وتفرَق عنه أهله مما رأوا مِن حالته وهيئته . قالت عائشة رضي الله عنها : فاضطجع في حِجري ، فأسندته إليّ ، فدخل رجل من آل أبي بكر وفي يده سواك أخضر ، قالت فنظر إليه ، قلت : يا نبي الله أتحب أن تستنّ بهذا السواك ، قال : " نعم " قالت: فأخذتُه من يد الذي كان معه ، فمضغتُه ثم أعطيتُه إياه ، فاستَنّ به .

وأتاه بلال يُؤْذنه بالصلاة . فقالت فاطمةُ: واكرباه لما أرى من كربك يا أبتاه . قال لها : " يا بُنَيّة ، لا كربَ على أبيك بعد اليوم " .

قالت عائشة : كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ما قبض الله نبياً قطُّ حتى يخيره مع الذي كان من أمره ." قالت: فوجدتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يثقل في حِجري وعلى صدري ، وسقط السواك ، وسمعته يقول : " بل الرفيق الأعلى من

الجنّة " فعلمت أنه كما كان يحدثنا ، فإن الله فضّله بإعادة الخيار عليه . قالت : فذهبت أنظر في وجهه، فإذا وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد علاه صفار ، وإذا بصره شاخص، وقبضه الله إليه .

عن عائشة قالت: فاقتحم الناسُ حتى ارتفعت الرنّةُ (الصوت الحزين عند البكاء) وسجّى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الملائكةُ بثوبي ، وقعد الرجال ، فكانوا كأقوام ليس فيهم الأرواح ، وحُقّ لهم في أطوار من البلاء قُسمَتْ بينهم . وكذَّبَ بعضُهم بموته ، وأُخرس بعضُهم فما تكلّم إلا بعد البُعد ، وخلط آخرون فلاثوا (خلطوا وكلّت ألسنتهم) الكلام بغير بيان ، وبقي آخرون ومعهم عقولُهم ، وأُقعد آخرون .

فكان عمرُ ممّن كذَّب بموته ، وأما علي فأُقعد البيت ، وجعل عثمان لا يكلم أحداً.

دخل أبو بكر رضي الله عنه عائداً من السنح على رسول الله وعمر يكلم الناس ، فمضى حتى كشف عن وجه النبي صلى الله عليه وسلم غطاءه ، فنظر في وجهه ، ثم أكبّ عليه، فقبّله ، قال : بأبي أنت وأمي، فوالله لا يجمع الله عليك موتتين ، لقد مت الموتة التي لا تموت بعدها .

يروي القعقاع بن عمرو أن الصديق دخل البيت وهو يسترجع (إنا لله وإنا إليه راجعون) ويصلي على النبي ، وعيناه تدمعان ، وغُصَصُه ترتفع كقِصَع الجرّة وهو في ذلك جلد الفعل والمقال ، فأكبّ عليه ، وكشف عن وجهه ، وقبّل جبينه وخدّيه ، وجعل يبكي ويقول : بأبي أنت وأمي ونفسي وأهلي ، طِبتَ حيّاً وميّتاً ، انقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء : النبوّة ، فعظُمتَ عن الصّفة ، وجَلِلْت عن البكاء ، وخُصّصْتَ حتى صرت مسلاةً (موت النبي صلى الله عليه وسلم أكبر المصائب) ، وعُمّمْتَ حتى صرنا فيك سواء ، ولولا أن موتك كان اختياراً منك جدنا لحزنك بالنفوس ، ولولا أنك نهيت

عن البكاء لأنفدنا عليك ماء الشؤون (مجار يالدمع إلى العيون) ، فأما ما لا نستطيع نفيَه عنا فكمد ، وأدبار مخالفات . اللهم فأبلغه عنا ، اذكرنا يا رسول الله عند ربك ، ولْنكن مِن بالك .

وقصة الصديق مع الفاروق الذي هدّد القائلين بموت النبي الكريم معروفة .

لكن نقف عند ما فعله سهيل بن عمرو – وكان في المدينة عندما توفي النبي صلى الله عليه وسلم وسمع خطبة الصديق – حين وقف وقفة الصديق في مكة ، وقال قالته :

أيها الناس ، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت . وقد نعى الله إليكم نبيّكم وهو بين أظهُركم ، ونعاكم إلى أنفسكم ، فهو الموت ، حتى لا يُبقي أحداً . ألم تعلموا أن الله تعالى قال : " إنك ميّت ، وإنهم ميتون " وقال تعالى : " وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ..." وقال : " كل نفس ذائقة الموت " ثم تلا : " كل شيء هالك إلا وجهه " ، فاتقوا الله واعتصموا بدينكم ، وتوكلوا على ربكم ، فإن دين الله قائم ، وكلمة الله تامّة ، والله ناصرٌ مَن نصره ، ومُعِزٌّ دينَه، وقد جمعكم الله على خيركم (خلافة الصديق).

لما بلغ عمرَ بن الخطاب منطقه قال : أشهد أن ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حقّ ، لما أسرنا سهيل بن عمرو يوم بدر قلت : يا رسول الله ، أنزع ثَنيّته يُدْلعْ لسانُه، فلا يقوم عليك خطيباً أبداً ؟ فقال : " يا عمر ، لا أمثّل فيمثل الله بي ، وإن كنت نبيّاً ، ولعله أن يقوم مقاماً لا تكرهه "

قال عمر: فهذا هو المقام .

وهنا الكثير من العبر والعظات نقف على بعضها :

- الدنيا دار فناء والآخرة دار البقاء . والعاقل من عمل في دنياه لآخرته ،

وجعل رضاء الله نصب عينيه .

- من عمل لآخرته اشتاق إليها ، ورغب فيها ، ورغب لقاء الله تعالى . بل الرفيق الأعلى ، أما من انشغل بدنياه فقد ران على قلبه ، ونسي أنه مفارق وقال نادما حيث لا ينفع الندم : يا ليته كان تراباً .

- فهم الصديق لذكائه ونباهته واتصال قلبه بالله أن رسول الله ينعى نفسه فبكى حزناً واستعد لاحتمال ذلك النبأ ، فكان تصرفه حكيماً عاقلاً أنقذ الأمة من انحراف خطير ، أما من لم ينتبه فقد وقع عليه الخبر وقوع الصاعقة ، فشل تفكيره وأقعده إلى أن هدأت نفسه وعلم الحقيقة .

- كما أن حب الصحابة الشديد للحبيب المصطفى ثم فقده السريع ولّد فراغاً مفاجئاً لا يستوعبه إلا أولو العزم ، وقليل ما هم . لكن الحب مهما اشتد وعظم وسما لا يدفع صاحبه إلى الوقوع في أخطاء كبيرة .

- الخلة في الإسلام هي الباقية ، أما المصالح فمتقلبة متغيرة ، والحب في الله دائم دوام الذات العلية التي هي السبب في هذا الحب .

- ينبغي إكرام صاحب الفضل ، والتنويه بفضله كي يتأسى به الآخرون ، كما أن الاعتراف بالفضل مروءة . وعلمنا النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في إكرامه للأنصار والوصاة بهم ، وإكرام الصديق وإعلاء شأنه.

- كما ينبغي الاعتماد في الأمور الدعوية والحيوية على من ثبت لهم الفضل والأقدمية ، فهم الركيزة القوية ، والرديف المكين والخلَف الصالح لإتمام المهمة .

- وعلى الرغم من المرض الثقيل والضعف الشديد نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يتابع ما بناه حتى اللحظة الأخيرة ، فيطّلع على أصحابه ، ويبث فيهم الأمل

ويعلمهم ويزكيهم . ويعلمهم أن يكونوا القدوة الصالحة كما كان صلى الله عليه وسلم .

- وهذه أمنا عائشة قدوة للنساء في الاعتناء بالزوج وخدمته والعمل على راحته. كما أن السيدة فاطمة رضي الله عنها كانت مثال البنت التي رباها أبوها ، فأحسن تربيتها .

- الحزن سمة إنسانية لكنَّ العويل واللطم و.. قلة أدب وسوء فهم ، وضعف في اليقين ، كما أن التسليم لقضاء الله دليل الإيمان القوي والصلاح .

- على المسلم أن يكون وقافاً على الحق رحيماً حتى بأعدائه ، وهذا ما فعله القدوة الأعظم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أبى أن يقطع لسان سهيل الذي كان شديداً عليه وعلى المسلمين .

- الرحمة ، وحسن المعاملة تجعلان العدو صديقاً . بل داعية يعتمد عليه .

قصة وتعليق

روى أبو نعيم الأصفهاني في كتاب حلية الأولياء ، وابن الجوزي في صفة الصفوة وابن قدامة المقدسي في كتاب الرقة والبكاء قالوا

قال جعفر بن زيد: خرجنا في غزاة إلى كابل وفي الجيش صلة بن أشيم فنزل الناس عند العتمة فصلوا ثم اضطجع فقلت: لأرمقنّ عمله، فالتمسَ غفلة الناس فانسلّ وثبا فدخل غيطة (مجموعة أشجار ملتفة) قريب منا، فدخلت على أثره ، فتوضأ ثم قام يصلي ، فجاء أسد حتى دنا منه ، فصعدت شجرة ، فلم يلتفت صلة إليه ، أتراه لم يره أم عدّه جرواً! . فلما سجد قلت : الآن يفترسه . فجلس ثم سلّم ثم قال: (أيها السبع اطلب الرزق من مكان آخر)، فولّى وإن له زئيراً، فمازال كذلك يصلي حتى كان الصبح . فجلس يحمد الله وقال: (اللهم إني أسألك أن تجيرني من النار ، ومثلي يستحي أن يسألك الجنة)! ثم رجع وأصبح وكأنه بات على حشاياً (مرتاحاً في نومه) ، أما أنا فأصبح بي ما الله به عليم من هول ما رأيت.

بعضهم علّق على القصة مستنكراً ، فكان لي تعليق على تعليقهم .

أولاً: بعضهم لم يعجبه تتبع جعفر لصلة بن أشيم فقد عده متجسساً، ولم يك جعفر راوي القصة كذلك ، ولكنه أراد من اتباع صلة بن أشيم أن يرى ما سيفعل من العبادة والقيام لأنه اشتهر بذلك ، فلعله يتأسى به ، ولا أرى ذلك يدخل تحت باب التجسس ، وأنا أعلم غير واحد من السلف فعل مثل هذا ليستفيد من عمل الصالحين ،ويتأسى بهم ، والله أعلم

ثانياً : عاب بعضهم على صلة طول القيام ، والله تعالى يمدح على قيام الليل الطويل

بقوله: "كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون ، وبالأسحار هم يستغفرون" فهذا دأب المقربين.

ثالثاً: ثم إن صلة كان عالماً جليلاً ومحدثاً كبيراً ، وورعاً شديد الورع إلى درجة أنه لم يكن يأكل من مال أبيه عندما عينه الخليفة عاملاً (والياً) على إحدى المدن خشية الوقوع في الشبهة لا الحرام كما روى عنه ابن الجوزي وغيره ، – وفرق كبير بين الشبهة والحرام . وعلى هذا فقد كان عالماً عاملاً . وقد روى عنه أبو نعيم وابن قدامة أنه لما حضر المعركة ، وقف على مرج منبسط فقال ، ما أحسن أن يقتل المرء ههنا في سبيل الله ، فلما انجلت المعركة وجدوه قتيلاً في المكان الذي أشار إليه وقتل بعده أبوه – على إحدى الروايات – وذلك في فتح كابل

رابعاً: قال بعضهم : كيف يستحيي الرجل من الله أن يطلب الجنة ، وقد أُمرنا أن نستعيذ بالله من النار ونطلب الجنة ؟! ولم تراه يدين نفسه ويستقل عمله ؟! وهو من هو في العبادة والزهد؟

فأقول: الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والرسول صلى الله عليه وسلم حين أخبر المسلمين أنه ما من أحد يدخل الجنة بعمله ، بل برحمة الله تعالى قالوا : له : حتى أنت يا رسول الله ؟ قال: " حتى أنا إن لم يتغمدني الله برحمته " . وكلنا نعلم أن سيدنا عمر بن الخطاب وهو المبشر بالجنة ، وهو من هو من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: ياليت أم عمر لم تلد عمر، وكان يقول : الويل لي ثم الويل لي إن لم يغفر لي ربي، كان يقول هذا وهو يتشحط بدمه وهو يعلم أنه شهيد —كما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشره بالشهادة عندما اهتز أحد وعليه رسول الله وأبو بكر وعمر وعثمان، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: اثبت أحد ، اثبت ، فإن عليك نبياً وصدّيقاً وشهيدين، ولما جاء عمرَ شابٌّ من الأنصار وراح يهدئ من روعه ويذكره أنه من السابقين

الأولين، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وهو عنه راض وأنه لم يغير ولم يبدل و... فقال له عمر: جزاك الله عني خيراً يابني، والله لقد تمنيت أن أخرج منها كفافاً لاعلي ولا لي .

و ليس هذا بدعاً من الأمر ، فالله تعالى يقول " : يدعون ربهم خوفاً وطمعاً " ، ويقول سبحانه : " يدعوننا رغباً ورهباً ، وكانوا لنا عابدين " فهناك من غلبت عليه الرهبة والخوف ، وهناك من غلب عليه الرجاء .. وفي كل خير إن شاء الله

وقد ورد عن سفيان الثوري أنه بكى عند موته ، فقال له أحد أصحابه : لماذا تبكي يا سفيان ؟ لعلك أسرفت على نفسك؟ فأمسك تبنة (قطعة علف للماشية) فقال : والله إن ذنوبي أهون علي في جنب عفو الله تعالى من هذه التبنة ، ولكني أخشى أن أُنزع الإيمانَ عند الموت ، فقال له ، أبشر برحمة الله تعالى فإنك كنت عالماً صواماً قواماً .. فقال له : أترى أن الله يغفر لي ويثبتني ويعفو عني؟ يا سبحان الله ، فأين نحن من هؤلاء؟!

خامساً: لا ينبغي أن نستنكر تسخير كل شيء للمؤمن التقي ، فقد سخر الله تعالى لهذا الرجل صلة بن أشيم الأسد يحرسه في صلاته .، وقد ذكر البخاري رضي الله عنه الحديث التالي في أولياء الله: (...فإذا أحببته صرت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه) وهو حديث كل رواته شاميون ، وقد قال فيه المحدثون إنه أشرف أحاديث أهل الشام .. فمن صار الله تعالى سمعه وبصره ويده ورجله ، بمعنى موجهاً لهذه الأعطاء فيما يرضيه تعالى ، ثم إن سأله أعطاه ، وإن استعاذ به أعاذه، أليس هذا تسخيراً للأشياء في خدمته ؟ أم ماذا ترى ؟

ولا ينبغي أن ننسى في خضم الحياة المادية – ولو جزئياً – أن المؤمن عليه أن لا يعلق

السبب بالنتيجة حتماً إلا أن يشاء الله الذي بيده تصريف الأمور ، وبيده ملكوت كل شيء ... وإلا ما جاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم خوف أن يخسر الحرب لأن المسلمين دائماً كانوا أقل من العدو عدداً وعُدّة ، فالعبرة ليست بالكثرة فيهما . علينا أن نُعِدّ ما استطعنا .. ونحن نعلم أن النصر من عند الله ، وأن علينا أن نأخذ بالأسباب ونعتمد على الله لا على الأسباب.

ثم لماذا نستنكر أن يحدث هذا مع الرجل ، وقد حدث قبله مع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعن محمد بن المنكدر : (أن " سفينة " مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ركبت البحر فانكسرت سفينتي التي كنت فيها ، فتعلقت لوحاً من ألواحها فطرحني اللوح في أجمة فيها الأسد فأقبل إلي يريدني فقلت : يا" أبا الحارث" – وهو اسم من أسماء الأسد – أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فطأطأ رأسه ، و أقبل إلي ، فدفعني بمنكبه حتى أخرجني من الأجمة ، ووضعني على الطريق ، وهَمْهَمَ . فظننت أنه يودعني ، فكان ذلك آخرَ عهدي به.

رواه الحاكم في المستدرك وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

فإن قلت : سفينة هذا صحابي . قلت لك : وهذا وليّ خرج مجاهداً في سبيل الله ، ولإعلاء كلمة الإسلام ، فوجه التشابه بينهما كبير ، والله أعلم

مكانة الصديق رضي الله عنه

ما أعظم الصديق رضي الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ووزيره الأول وخليفته من بعده ! إن المتتبع لفضائله رضي الله عنه ليجثو احتراماً وتقديراً لهذا الطود العظيم الشامخ في سماء الإسلام ، يكاد يبلغ الشموس الوِضاء، بل إن هذه الشموس لتأنس إلى مكارمه وتعتز بها ، فتعال معي أخي في الإسلام نرفع رؤوسنا إلى علياء هذا العلم الذي ما طلعت الشمس ولا غربت على رجل بعد النبيين أفضل منه ، نتعرف على بعض شمائله رضي الله تعالى عنه .

- كان أبو موسى الأشعري أميراً بالبصرة ، فكان إذا خطب حمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وثنّى يدعو لعمر رضي الله عنه . فكان ضبة بن محصن الغنويّ يغضب لذلك، فيقول له: أين أنت من صاحبه بفضله عليه؟! يقصد الصديق رضي الله عنه – وكأنه يعاتب أبا موسى الأشعري أنه لم يذكر الصديق وفضله .. صنع ذلك جُمعاً ، فكتب أبو موسى إلى الفاروق يشكو ضبّة قائلاً : إنه يعرض لي في خطبتي . فكتب له الفاروق أن أشخصه إليّ (أرسله إليّ) ، فأشخصني إليه ، فقدمت عليه ، فضربت عليه الباب (ولم يكن هناك حرّاس ولا حجّاب) .

فخرج إليّ فقال: من أنت؟

فقلتُ: ضبة بن محصن الغنويّ .

فقال: فلا مرحباً ولا أهلاً .

فقلت: أما المرحب فمن الله ، وأما الأهل فلا أهل ولا مال! ففيمَ استحلَلْتَ إشخاصي من مصري (بلدي) بلا ذنب أذنبتُ، ولا شيء أتيت؟!

قال: ما الذي شجر بينك وبين عاملك ؟

قلتُ: الآن أخبرك يا أمير المؤمنين : كان إذا خطب فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وثنّى يدعو لك غاظني ذلك منه ، فقلت له : أين أنت من صاحبه بفضله عليه؟! ، فكتب يشكوني .

قال: فاندفع عمر رضي الله عنه باكياً وهو يقول : أنت والله أوفق منه وأرشد ، فهل أنت غافر لي ذنبي يغفر الله لك ؟

قلت: غفر الله لك يا أمير المؤمنين .

ثم اندفع عمر باكياً وهو يقول :

والله لَليلةٌ من أبي بكر ويومٌ خيرٌ من عمر وآل عمر ، فهل لك أن احدّثك بليلته ويومه ؟

قلت: نعم يا أمير المؤمنين .

قال: أما ليلته : فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج هارباً من المشركين خرج ليلاً ، فتبعه أبو بكر رضي الله عنه فيجعل يمشي مرة أمامه ، ومرة خلفه ، ومرة عن يمينه، ومرة عن يساره . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما هذا يا أبابكر ؟ ما أعرف هذا من فعالك! قال يا رسول الله أذكر الرصد (عيون قريش الكامنين له في الطريق) فأكون أمامك ، وأذكر الطلب (المتابعين الملاحقين) فأكون خلفك ، ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك ، لا آمن عليك ! فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أطراف أصابعه حتى حَفِيَتْ . فلما رأى أبو بكر رضي الله عنه أنها قد حفيت حمله على عاتقه ، حتى أتى به باب الغار، فأنزله، ثم قال : والذي بعثك بالحق لا تدخله أنت حتى أدخله ، فإن كان فيه شيء بدأ بي قبلك ، فلم يرَ شيئاً يستريبه ، فحمله فأنزله . وكان في الغار

خَرقٌ فيه حيّات ، فلما رأى ذلك أبو بكر ألقمه قَدَمه ، فجعلن يلسَعْنه أو يضربنه ، وجعلت دموعه تنحدر على خده من ألم ما يجد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له : لا تحزن إن الله معنا . فأنزل الله سكينته طُمَأنينةً لأبي بكر ، فهذه ليلته .

وأما يومُه: فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدّت العرب ، فقال بعضُهم: نصلي ولا نزكّي ، وقال بعضهم : نزكّي ولا نصلي . فأتيتُه لا آلو نصحاً ، فقلت: يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تألّف الناس وارفق بهم . فقال لي : جبارٌ في الجاهليّة خوّار في الإسلام ؟ ! قُبض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وارتفع الوحي . والله لو منعوني عقالاً مما كانوا يعطون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتُهم عليه . فقاتلنا معه . وكان – والله – رشيدَ الأمر . فهذا يومُه .

في صفوة الصفوة لابن الجوزي ١/٢٤٠

وحلية الأولياء ١/٣٣

وكتب إلى أبي موسى يلومُه .

- وعن أبي الدرداء قال:

كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل أبو بكر آخذاً طرف ثوبه ، قد أبدى عن ركبتيه (مسرعاً قد رفع ثوبه ليسهل إسراعه في مشيته) فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أما صاحبكم فقد غامر (خاصم) فأقبل حتى سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إنه كان بيني وبين عمر شيء ، فأسرعتُ إليه (نلت منه) ثم إن ندمت على ما كان مني إليه ، فسألتُه أن يغفر لي، فأبى عليّ ، فتبعتُه البقيعَ كله، تحرّز بداره منّي ، فأقبلتُ إليك يا رسول الله (يريد أن يصلح رسول الله بينهما) . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يغفر الله لك يا أبا بكر ثلاث مرات .

ثم إن عمر ندم حين سأله أبو بكر أن يغفر له ، فأبى عليه ، ثم خرج من منزله حتى أتى منزل أبي بكر ، فسأل : هنا أبو بكر ؟ قالوا : لا . ، فعلم أنه عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فأقبل عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سلم ، فجعل وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمعّر (يظهر الغضب عليه) حتى أشفق أبو بكر أن يكون من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمر ما يكره . فلما رأى ذلك أبو بكر جثا على ركبتيه، فقال : يا رسول الله ، أنا – والله– كنت أظلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيها الناسُ ، إن الله بعثني إليكم فقلتُم : كذبْتَ ، وقال أبو بكر : صدقْتَ ، وواساني بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركو لي صاحبي ، ثلاثاُ . قال أبو الدرداء : فما أوذي بعدها .

رواه الإمام البخاري في الجامع الصحيح

كتاب فضائل أصحاب النبي

– أما ربيعة الأسلمي رضي الله عنه وكان خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:

قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تتزوج ؟

قلت: لا يا رسول الله، ما أريد أن اتزوج، وما عندي ما يُقيم المرأة ، وما أحب أن يَشغلني عنك شيء . فأعرض عني ، فخدمتُه ما خدمتُه . ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاني أرضاً وأعطى أبا بكر أرضاً ، وجاءت الدنيا ، فاختلفنا في موضع عِذق نخلة (والعِذق قِنو النخلة ، وهو بمثابة العنقود من العنب) في حدٍّ . فكان بيني وبين أبي بكر كلام ، فقال لي كلمةً كرهتُها .

وندم الصدّيقُ فقال لي : يا ربيعة ، رُدّ عليّ مثلها حتى تكون قصاصاً .

فقلت له : لا ، لا أفعل .

فقال أبو بكر : لتفعلَنّ أو لأستعديَنّ عليكَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم .

فقلتُ : ما أنا بفاعل ...

فرفض الأرض (تركها) وانطلق إلى رسول الله ﷺ، وانطلقت في أثَره .

فجاء ناسٌ من أسلم (عشيرة ربيعة) فقالوا يرحم الله أبا بكر ، في أي شيء يستعدي عليك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي قال لك ؟

فقلتُ لهم : أتدرون من هذا ؟ هذا أبو بكر الصديق ، إياكم ، لا يلتفت فيراكم تنصرونني عليه ، فيغضب ، فيأتي رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فيغضب لغضبه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فيغضب الله تعالى لغضبهما ، فيهلك ربيعة !

قالوا : فما تأمرنا ؟

قال ربيعة فتنبعنا الصديق حتى أتى رسولَ الله ﷺ، فحدّثه الحديث كما كان

فرفع الرسول صلى الله عليه سلم رأسه وقال : يا ربيعةُ مالك وللصديق؟

فقلتُ : يا رسول الله كان كذا ، كان كذا . فقال لي كلمة فكرهتها ، فقال لي : قل لي كما قلتُ لك حتى يكون قصاصاً ، فأبيت يا رسول الله .

قال رسول الله ﷺ: أجل ، لا تردّ عليه ، ولكن قل : غفر الله لك يا أبا بكر..

فولّى أبو بكر يبكي .

رواه أبو داو الطيالسي مختصراً بين حديثين طويلين ذي الرقمين

١١٧٢- ١١٧٤ ص: ١٦١-١٦٢

- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال :

كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم ، وعنده الصديق أبو بكر ، وعليه عباءة قد

خَلّها في صدره (جمعها طرفيها بعود أو حديد) فنزل عليه جبريل عليه السلام ، فقال : يا محمد مالي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلّها في صدره بخلال ؟ فقال يا جبريل ، أنفق ماله عليّ قبل الفتح .

قال جبريل : إن الله يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : قل له : أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا بكر ، إن الله يقرئك السلام ، ويقول لك أأنت راض عني في فقرك هذا أم ساخط ؟

فقال أبو بكر : أسخط على ربي ؟! أنا عن ربي راض . قالها ثلاثاً .

رواه أبو نعيم في حلية الأولياء

ورواه الجوزي في صفوة الصفوة

- عن أبي الجحّاف قال:

لما بويع أبو بكر ، وبايع عليٌّ وأصحابُه قام ثلاثاً يُقبل على الناس يقول :يا أيها الناس ، قد أقلتُكم بيعتي ، هل منكم كارهٌ ؟

فيقوم علي في أوائل الناس ، فيقول : لا نقيلك ولا نستقيلك أبداً (لا نعفيك من المسؤولية ولا نطالبك بذلك). قدّمك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن ذا يؤخرك ؟

اتهمه بعضهم بالتشيع ، تهذيب التهذيب ١١٧/٢

يا لهذا الطود الشامخ في دنيا الإسلام !!

ويا لهذا القائد العظيم في تاريخ البشرية !!

عمر الفاروق رضي الله عنه الذي أعزه الله بالإسلام ، واعز الله به الإسلام ...

– يقول أسلم رضي الله عنه خادم عمر : حدثنا عمر رضي الله عنه فقال :

تحبون أن أخبركم ببدو إسلامي ؟ (بدئه) قلنا : نعم .

قال : كنت من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فبينا أنا ذات يوم شديد الحر بالهاجرة (ظهراً) في بعض طرق مكة إذ لقيني رجل من قريش ،

فقال: أين تريد يا بن الخطاب ؟

قلت: أريد ذلك الرجل الذي غيّر الدين .

فقال: عجباً لك يا ابن الخطاب ! تزعم هكذا ، وقد دخل عليك من هذا الأمر في بيتك؟

قلت : وما ذاك ؟

قال : أختك قد أسلمت.

فرجَعتُ مُغضباً حتى قرعت الباب . قال عمر : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أسلم الرجل والرجلان ممن لا شيء عندهما (فقيران وضعيفان) ضمهما إلى رجل بيده قوة . فيكونان معه ، ويصيبان من فضل طعامه ، (وهكذا رحمة الإسلام فقد علمنا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم – معشر المسلمين – الكرم ومساعدة المحتاجين من إخواننا). فقد ضمّ إلى زوج أختي رجلين . فلما قرعت الباب قيل : من هذا ؟

قلت: ابن الخطاب.

فبادر القومُ فتوارَوا عني ، وقد كانوا يقرؤون صحيفة في أيديهم ، فنسوها ، وتركوها وسط البيت . فقامت أختي ففتحت الباب .

فقلت: يا عدوّة نفسها ؛ صبوت(تركت دينك إلى غيره)؟ وضربتها بشيء في يدي على رأسها ، فسال الدم . فلما رأت الدم بكتْ وقالت: يا ابن الخطاب ؛ ما كنتَ فاعلاً فافعل (افعل ما بدا لك)، فقد أسلمت .

قال عمر: فدخلتُ مغضباً فجلست على السرير، فنظرتُ إلى الصحيفة وسطَ البيت، فقلتُ: ما هذه الصحيفة ؟ أعطنيها .

قالت: لستَ من أهلها ، إنك لا تغتسل من الجنابة ، ولا تتوضّأ ، وهذا لا يمسّه إلا المطهّرون .(وهذا دليل شرف القرآن وطهارته) .

قال: عمر فلم أزل بها (ألحّ عليها أن تعطينيها) حتى أخذتها . فنظرت ، فإذا فيها " بسم الله الرحمن الرحيم " فلما قرأت الرحمن الرحيم فزعت من ذلك ، وألقيت الصحيفة . ثم رجعت إلى نفسي ، فأخذتها ، فإذا فيها " سبح لله ما في السموات والأرض ، وهو العزيز الحكيم " — من سورة الحديد – . فكلما مرّ بي اسم من أسماء الله ذُعرتُ منه ، ثمّ ترجع إليّ نفسي.(إنها شحنة الإيمان تطهره من رجس الأوثان) ، حتى بلغتُ " آمنوا بالله ورسوله ، وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه " فقلت : أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . فلما سمع القوم خرجوا إليّ مبادرين (بالتهنئة والسلام) فكبّروا ، ثمّ قالوا: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا يوم الاثنين : " اللهم أعزّ دينك بأحب الرجلين إليك ، إما أبي جهل بن هشام ، وإما عمر بن الخطاب " وإنا نرجو أن تكون دعوةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لك .

قلت: أخبروني بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم – وسبحان مغير الأحوال – .

فلما عرفوا مني الصدق أخبروني بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا هو في بيت في أسفل الصفا ... فرُحتُ حتى قرعت الباب ، فقيل : من؟

قلت: ابن الخطاب – وقد علموا شدتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يعلموا بإسلامي – فما اجترأ رجل منهم أن يفتح الباب .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " افتحوا له الباب ، فإن يرد الله به خيراً يهدِه" . ففتحوا لي الباب . وأخذ رجلان بعضُديّ حتى جاءا بي رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأخذ بمجمع قميصي ، ثم جبذني (جذبني) إليه ، (وهذا دليل قوة وثبات) .

ثم قال : " أسلم يا ابن الخطاب " .

فقلت : أشهد أن لاإله إلا الله وأشهد أنّك رسول الله . فكبر المسلمون تكبيرة سُمعتْ بطُرُق مكّة ، وقد كانوا مستخفين .

قال عمر رضي الله عنه : ثم خرجتُ ، فكنت لا أشاء أرى رجلاً من المسلمين يُجتمع عليه ويُضرب ، ولا يصيبُني من ذلك شيء (يريد الفاروق أن يناله الأذى مثل ضعفاء المسلمين ليشعر بلذة الأذى في سبيل الله) . فقلت: ما هذا بشيء (لا يعجبه أن يسلم من الأذى) فجئت إلى خالي – وهو أبو جهل نفسه – – وكان شريفاً – فقرعت عليه الباب،

فقلتُ : اعلمت أني قد صبوت ؟

قال : وفعلتَ؟ !

قلت: نعم .

قال : لا تفعل . (عدّ إلى دينك السابق)

قلت : قد فعلت . (أنا ثابت على ذلك .)

قال : لا تفعل ... فدخل ، فأجاف الباب دوني (أغلقه وردّه فلم يُدخلني) .

فذهبت إلى رجل من عظماء قريش أيضاً ، فقرعتُ عليه بابَه ،

فقيل : من هذا ؟ .

قلت: ابن الخطاب .

فخرج إليّ ، فقلت مثل مقالتي لخالي : أما علمتَ أني قد صبوت؟.

قال: افعلْتَ؟.

قلت : نعم .

قال: لا تفعل .

قلت: قد فعلت.... فدخل ، فأجاف الباب دوني .

فقلت: ما هذا بشيء (لم أصلْ إلى ما ابتغيت) .

فقال لي رجل : أتحب أن تُظهر إسلامَك؟

قلت : نعم .

قال : فإذا اجتمع الناس في الحِجر فأت فلاناً – جميل بن معمر الجمحيّ – فقل له فيما بينك وبينه ، فإنه سيُظهر عليك .

فلما اجتمع الناس في الحجر جئت إلى ذلك الرجل ، فأصغيتُ إليه (ملت عليه) فأسررته: أما علمت أني قد صبوت ؟

قال : صبوت؟

قلت نعم .

فرفع بأعلى صوته : ألا إن ابن الخطاب قد صبا .

فثار إليّ الناسُ ، فضربوني ، فضربتهم ، فقال خالي : ما هذه الجماعة ؟ قيل: ابن الخطاب قد صبا . . فقام على الحِجر ، فأشار بكمّه : ألا إني قد أجرت ابن ختي . فانكشف الناس عني (ابتعدوا) .

فكنت لا أزال أرى إنساناً يُضرب ، ولا يُصيبني من ذلك شيء . فقلت: ليس هذا بشيء حتى يصيبني ما يُصيبُ الناس ، وأُضرب كما يُضربون . ...

قال : فأتيتُ خالي والناس مجتمعون ، فقلت : يا خال .

قال : مالك؟. أو : ما تشاء يا ابن أختي ؟.

قلت : أشاء أن جوارك عليك ردٌّ .

قال : لا تفعل يا بن أختي

قلت: جوارك عليك ردٌّ .

قال : لا تفعل .

قلت: قد فعلت.

قال : فكما شئت .

قال الفاروق : فما زلت أضرب الناس ويضربونني حتى أعز الله الإسلام ونبيّه .

- قال ابن مسعود رضي الله عنه :

إذا ذُكر الصالحون فحيّهلا بعمر .. كان عمر فصلاً بين الزيادة والنقصان (يحفظ الإسلامَ أن يزيد فيه أحد او يُنقص) ، وكان عمر حائطاً حصيناً على الإسلام ، يدخل الناس فيه ، ولا يخرجون منه . فلما قُتل عمر انثلم الحائط .

كان عمر رضي الله عنه يأمر بالجزور (الناقة الذبيحة) فتُنحر ، فيكون أطايبها والسنام والكبد لابن السبيل ، ويكون العنق لآل عمر . والذي نفس عبد الله بيده ، لو

وُضع من في الأرض اليومَ في كفة ميزان ووُضع عمر لظننتُ أن سيرجح. والذي نفسي بيده لوددت أني خادم لمثل عمر حتى أموت .. إذا ذُكر الصالحون فحيّهلا بعمر .

- قال جعفر بن زيد العبدي :

خرج عمر رضي الله عنه يعُس المدينة (يطوفها ليلاً) ذات يوم فمرّ بدار رجل من المسلمين ، فوافقه قائماً يصلي ، فوقف يسمع قراءته ، فقرأ " والطور وكتاب مسطور ..... إن عذاب ربك لواقع " قال: قسَمٌ ورب الكعبة حق. فنزل عن حماره ، فاستند إلى حائط ، فمكث مليّاً ، ثم رجع إلى منزله ، فمرض شهراً يعوده الناس ، لا يدرون ما مرضه .

وكان يمر بالآية من وِرده بالليل ، فيبكي حتى يسقط ، ويبقى في البيت حتى يُعادَ .

رضي الله تعالى عن صاحب رسول الله ووزيره الثاني الفاروق عمر ، وحشرنا معه في عباده الصالحين ... اللهم إنا نحب رسولك المصطفى وصاحبيه الجليلين أبا بكر وعمر ، فاحشرنا مع نبيّك الكريم وأبي بكر وعمر ... يا رب العالمين .

كتاب الرقائق لابن قدامة المقدسيّ

بتصرّف

قدم خالد بن صفوان بن الأهتم (١) على الخليفة هشام بن عبد الملك في وفد العراق، وقد خرج الخليفة مبتدئاً بقرابته وأهله وحشمه وغاشيته (٢) من جلسائه ، فنزل بأرضِ قاعٍ صحصحٍ متنائفٍ أفيح(٣) ، وفي عامٍ قد بكّر وسميّه وتتابع وليُّه (٤) وأخذت الأرض فيه زينتها من اختلاف أنوار نبتها (٥) ، من نَوْر ربيع مونق ، فهو أحسن منظراً ، وأحسن مختبراً ، بصعيد كأن ترابه قطع الكافور ، لو أن قطعة أُلقِيَت فيه لم تثْرب ، وقد ضرب له سرادق من كتان مخطط صنع في اليمن فيه فسطاط (بيت من شعر) فيه أربعة أفرشة من خز أحمر مثلها مَرافقُها ، وعليه دُرّاعة (٦) من خز أحمر مثْلها عمامتها . وقد أخذ الناس مجالسهم ، فأخرجت رأسي من ناحية السماط (٧) . فنظر إليّ شبه المستنطق لي.

فقلتُ: تمم الله عليك يا أمير المؤمنين نعمه، وسوّغها بشكره ، وجعل ما قلّدك من هذا الأمر رشَداً، وعاقبة ما تؤول ليه حمداً ، أخْلصه لك بالتقى ، وكثّره لك بالنماء ، لا كدر عليك منه ما صفا، ولا خالط مسرورَه الردى، فقد أصبحْت للمسلمين ثقةً ومستراحاً، إليك يقصدون في أمورهم ، وإليك يفزعون في مظالمهم . وما أجد يا أمير المؤمنين – جعلني الله فداءك – شيئاً هو أبلغ في قضاء حقك وتوقير مجلسك مما منّ الله به عليّ من مجالستك والنظر إلى وجهك ، من أن أُذكّرك نعمَ الله عليك، وأنبهك لشكرها . وما أجد يا أمير المؤمنين شيئاً هو أبلغ من حديث مَن سلف من الملوك ، فإن أذن لي أمير المؤمنين أخبرتُه عنه .

قال : فاستوى جالساً – وكان متكئاً – ثم قال : هاتِ يا ابن الأهتم .

قلت : يا أمير المؤمنين ، إن ملكاً من الملوك قبلك خرج في عام مثل عامنا هذا إلى الخَورنق والسدير في عام قد بكّر وسميّه ، وتتابع وليُّه ، وأخذت الأرض زينتها من ربيع مونق، فهو في أحسن منظر ، وأحسن مستنظر ، وأحسن مختبر ، بصعيد كأنه ترابه قطع الكافور ، حتى لو أن قطعة ألقيت فيه لم تَتْرب ، وكان قد أُعطي فتاء السنّ (٨) ، مع الكثرة والغَلَبة والقهر ، فنظر الملك، فأَبعد النظر، فقال لجلسائه : لمن هذا ؟ هل رأيتم مثل ما أنا فيه ؟ هل رأيتم مثل ما أُعطيت ؟! وكان عنده رجل من أهل الفِطنة والنباهة ذو أدب حق ومنهاج سليم – ولن تخلوَ الأرض من مثل هؤلاء- . فقال : أيها الملك ! اعلم أنك قد سألت عن أمر ، أفتأذن بالجواب عنه؟

قال : نعم .

قال : أرأيتَ ما أنت عليه ، أشيء لم تزل فيه أم شيء صار إليك ميراثاً من غيرك ، وهو زائل عنك ، وصائر إلى غيرك كما صار إليك ميراثاً من لدن غيرك ؟! .

قال : فكذلك هو .

قال الرجل الحكيم الناصح : أراك أُعجبتَ بشيء يسيرٍ تكون فيه قليلاً وتغيب عنه طويلاً ، وتكون غداً بحسابه مرتهناً . قال : ويحك ، فأين منه المهرب ؟ وأين المطلب؟ .

قال: إما أن تقيم في ملكك تعمل فيه بطاعة ربك على ما ساءك وسرك ، ومضّك وأرمضك (٩) وإما أن تضع تاجك ، وتلبس أطمارك وأمساحك (١٠) وتعبد ربك في هذا الجبل حتى يأتيك أجلك . قال : فإذا كان بالسحَر فاقرع عليّ بابي ، فإني مختارٌ أحد الرأيين ، فإن اخترتُ ما أنا فيه كنتَ وزيراً لا تُعصى ، وإن اخترتُ فلضواتِ الأرض وقفرَ البلاد ، كنتَ رفيقاً لا تُخالَف .

قال : فقرع عليه بابَه عند السحَر ، فإذا هو قد وضع تاجَه ، ولبس أطماره

وأمساحه، وتهيّأ للسياحه.

فلزما — والله– الجبل أتتهما آجالُهما .

يقول الشاعر علي بن سالم العدويّ (١١) فيه وفي غيره :

أيها الشامتُ المعيِّر بالدهـ ر ،أنت المبرّأ الموفورُ؟

أم لديك العهدُ الوثيق من الـ أيام ، أم أنت جاهل مغرورُ؟

مَن رأيتَ المنونَ خلَّدْنَ أم مَن ذا لديه من أن يُضام خفيرُ

أين كسرى ،كسرى الملوك أبو سا سان، أم أين قبلَه سابورُ؟

وبنو الأصفر الكرامُ ملوكُ الرّ وم ، لم يبقَ منهمُ مذكورُ

وأخو الحَضر إذ بناه، وإذ دِجـ لة تُجبى إليه والخابورُ ؟(١٢)

شاده مرمراً وجلّله كِلـ ساً ، فللطير في ذُراه وُكورُ

لم يهبه ريبُ المنون فباد الـ مُلك عنه ، فبابُه مهجورُ

وتذكّرْ ربَّ الخورنق إذ أشـ رف يوماً وللهدى تفكيرُ

سرّه ماله وكثرةُ ما يمـ لك والبحر معرِض والسديرُ (١٣)

فارعوى قلبُه ، وقال : ما غِبـ طةُ حيٍّ إلى الممات يصيرُ؟!

ثم أضحَوْا كأنهمْ ورقٌ جفّـ فألوَت به الصَّبا والدّبورُ

ثم بعد الفلاح والملك والإمّـ رةِ وارتهمُ هناك القبورُ 14))

قال: الأهتم : فبكى والله هشامٌ حتى أخضَل لحيتَه ، وبلّ عمامته ، وأمر بنزع أبنيته، وبانتقال أهله وحشمه وغاشيته من جُلسائه ، ولزم قصره .

فأقبلت الحاشية على خالد بن صفوان بن الأهتم، فقالوا: ما أردْتَ إلى أمير المؤمنين؟! أفسدتَ عليه لذّتَه، ونغّصتَ عليه باديته.

قال: إليكم عني، فإني عاهدتُ الله تعالى عهداً أن لا أخلُوَ بملك إلا ذكّرتُه اللهَ عزّ وجلّ .

١- من فصحاء العرب المشهورين ، كان يجالس عمر بن عبد العزيز ، وهشام بن عبد الملك . وله معهما أخبار . ولد ونشأ بالبصرة . ولم يتزوّج . عاش إلى أن أدرك خلافة العباس السفاح العباسي ، وحظي عنده . توفي نحو ١٣٣ للهجرة .

٢- غاشيته: زواره وأصدقاؤه الذين لا يتركونه.

٣- القاع : الأرض المستوية يحيط بها الجبال والآكام ، وتنصب إليها مياه الأمطار، فتمسكها ثم تنبت العشب ....

الصحصح: الأرض الجرداء المستوية ذات حصى صغار .

متنائف: مرتفع ، أو مشرف على غيره . أفيح : واسع .

٤- الوسميّ :مطر الربيع الأول .

الوليّ : المطر يسقط بعد المطر .

٥- الأنوار : جمع نَوْر : الزهر الأبيض .

٦- الدُرّاعة : ثوب من الصوف ، وهو كذلك : الجبة المشقوقة المقدّم .

٧- السماط : الصف أو الجانب .

٨- فتاء السن : الفتوّة والشباب .

٩- مضّه : آلمه وشق عليه . أرمضه : أوجعه.

١٠ – الأطمار : جمع طِمر : الثوب البالي الخلَق .

الأمساح : جمع مسح : الكساء من الشعر يلبسه الزاهد .

١١- علي بن سالم العدوي : شاعر من دها الشعراء الجاهليين ، من أهل الحيرة ،

يحسن العربية والفارسية ، جعله كسرى ترجماناً بينه وبين العرب . تزوج هند بنت النعمان بن المنذر ، ثم أوغر آخرون صدر النعمان عليه ، فسجنه ثم قتله عام ٣٥ قبل الهجرة .

١٢- الخابور نهر في الجزيرة الشامية ، يصب في الفرات ،

الحَضر: مدينة عراقية قرب تكريت .

١٣- البحر مُعرِض : متسع عريض .

١٤- الإمَة: النعمة .

من كتاب : الرقة والبكاء للمقدسي

حديث أم زرع

بعض الأزواج يدخلون البيوت ، فيسكن من فيها بعد حركة ، وتجف قلوب الزوجات والأولاد من غوائلهم . وجوههم عابسة ، أجبُنُهم مقطّبة ، تنخلع القلوب لمرآهم ، وتنقبض النفوس حين تقع العيون عليهم .

ولا أعتقد هذا إلا جهلاً منهم بدورهم في الحياة الأسريّة ، وقوامتهم فيمن ولاّهم الله عليهم .

وكأنهم لم يقرأوا سيرة الرسول الكريم في بيته وبين أهله ونسائه ، ومعاملته إياهم بلطف المعشر وبشاشة الوجه وطيب الكلام .

فقد كان صلى الله عليه وسلم يبادر، فيتقرب من نسائه ، ويمازحهن ، ويتباسط معهنّ ، فيدخل السرور إلى قلوبهنّ .

من هذا قوله لعائشة رضي الله عنها :

"كنت لك كأبي زرع لأم زرع "

وذلك حين حدثته السيدة عائشة رضي الله تعالى قائلة :

إنه اجتمع في الجاهلية إحدى عشرة امرأة في جلسة سمر ، فقلن بعضهُنّ لبعض :

تعالَين نتحدث عن أزواجنا ، دون أن نكتم من أخبارهم شيئاً مدحاً أو ذمّاً ، وأن نكون صادقاتٍ في وصفهم ، على ألاّ يصل هذا إليهم ...

فقالت الأولى : إن زوجي متكبر سيء الخُلُق ، لا أصل إلى رضاه إلا بشق النفس وبذل الجهد ، وشبّهته في رداءته بلحم جمل غثٍّ شديد الهزال على رأس جبل وعر لا يوصل إليه إلا بعسر ومشقّةٍ .

وقالت الثانية :لا أستطيع ذكر زوجي بسوء – وكله مساوئ – فقد يصل إليه ما قلت فيطلقني ، فأضيّع أطفالي ، وأخسر بيتي .

وقالت الثالثة : أما زوجي فهو سفيه أحمق ، عقله في لسانه ، لا يرعى لي ذمة ، ولا يحفظ لي مكانة ، أتحمله على مضض ، فلا أستطيع مجابهته فأطلَّق ، وإن سكتُّ فلا يأبه لي.

وقالت الرابعة: إن زوجي معتدل الأخلاق ، متوسط في رضاه وسخطه، وشبّهتْه بليل تهامة (وتهامة مكةُ وجنوبُها ، والنسبة إليها تهاميّ) لا تجد فيه حراً ولا برداً ، ولا تخافه ولا تسأمه .

وقالت الخامسة : زوجي كريم جواد ، لا يسألني ما أفعله في البيت ، فإذا خرج فهو أسد في الحروب ، بطل في القتال .

وقالت السادسة : أما زوجي فإن أكل أو شرب لم يترك لعياله شيئاً ، فإذا نام لم يشعر بما حوله . أنانيٌّ لا يهتم بحال أهله إن مرضن أو اشتكين . شديد الرغبة في النساء .

وقالت السابعة : يا ويلي ، إن زوجي عِييٌّ لا يحسن تدبير الأمور ، فيه غيٌّ وضلالة ، أحمق لا يهتدي للتصرف الصحيح ، يتخبط في أعماله ، سريع إلى الضرب ، فإما أن يشُجّ من خاصمه ، أو يكسر له ضلعاً من أضلاعه ، أو يجمع بين الشج والكسر ، فأنا منه على أسوإ حال .

وقالت الثامنة: أما زوجي فناعم الملمس، كالأرنب لِيناً وعطفاً، شديد الاعتناء بمظهره وطيب رائحته .

وقالت التاسعة: زوجي أصيل المنبِت، فارع الجسم، كريم اليد، سريع إلى إغاثة الملهوف، عظيم في قومه ، قريب إلى نفوسهم، له الصدر في مجالسهم .

وقالت العاشرة : إن زوجي – مالكاً- له إبلٌ كثيرة باركة في فِناء منزله ، لا يوجّهها للكلإ والمرعى إلا قليلاً ، فهو لم يقْتَنِها لينمّيَها ، إنما جعلها للضيفان ، فيقريهم من ألبانها ولحومها . وقد عهِدتِ الإبل منه ذلك ، فإذا سمعن صوت المزاهر وآلات الطرب علمْنَ أنّ أجلَهنّ قد اقترب .

وقالت الحادية عشرة: أما زوجي أبو زرع – وما أدراك ما أبو زرع ؟- فقد انتزعني من بيت فقير وحياة بائسة إلى غنىً واسع وحياة رغيدة ، وأكرمني أيّما إكرام ، طعام كثير ، وخير وفير .. وذهبٌ ملأ يديّ ، ففرحت بما أُلْتُ إليه من نعمة ، وعظّمني فعَظُمَتْ نفسي عندي ، فقولي عنده القول الفصل ، والخدم من حولي يأتمرون بأمري ، ويسعَوْن إلى رضاي ... أم أبي زرع : تمتلك الكثير من المال ، وبيتها واسع رائع .... ابن أبي زرع : نشيط جميل المنظر ... بنت أبي زرع : من أجمل الفتيات ، ذات خلق رفيع ، تغار منها الأتراب ...حتى الخادمة : فإنها أمينة تكتم السر وتحافظ على البيت ، وتعتني به .

إلا أن هذه النعمة لم تدُمْ لي .. فقد خرج زوجي في بعض أعماله فرأى امرأة جميلة في مقتبل العمر ، تلاعب ولدين لها ، وتسقيهما من ثدييها لبن الأمومة اللذيذ ، فأعجَبَتْه ، فطلّق أم زرع ، وتزوّجها .

ولم تلبث ام زرع أن تزوّجت رجلاً أصيلاً غنيّاً ذا همّة عالية ، فأغدق عليها خيراً كثيراً، وأمرها بصلة أهلها وإكرامهم .. إلا أن قلبها لم يكن له، بل كان لأبي زرع ... ألم يقل الشاعر :

نقّل فؤادَك حيث شئت من الهوى ما الحبّ إلا للحبيب الأوّل

كم منزلٍ في الأرض يألفه الفتى وحنينه أبداً لأوّل منزل ؟

فكانت تقول : فلو جمعْتُ كل شيء أعطانيه ما بلغ أصغرَ ما أعطانيه أبو زرع .

فلما قال لها النبي الكريم صلوات الله تعالى وسلامه عليه :

"كنت لك كأبي زرع لأم زرع " .. قالت :

يارسول الله ، بل أنت خير من أبي زرع .

قال صلى الله عليه وسلم :" نعم ، فقد طلّقها ، وإنّي لا أطلقك ."

وتسارع بنت الصدّيق بكلام حلو ورقيق

بل أين أبو زرع أينا من زوج بر ورفيق؟

أرسول الله يشابهه الـ أغيار بخلق موثوق ؟

قد صاغك ربي من نور وحباك بكل التوفيق

أنت العلياء وذروتها وسواك بوهد التضييق

نبي الرحمة والتواضع

تعال معي ننظر بعين البصيرة، لا البصر. ولا نملك إلا هذا . إلى سيّدينا العظيمين، أحدهما رسول الله صلّى الله عليه وسلم، والآخرُ جبريل رسول الله إلى رسول الله ،صلّى الله على جبريل .. فإنّي أحبه رغماً عن اليهود الذين يكرهونه، لأن قلوبهم ملئت حقداً وكرهاً لهذا الملَكِ الجليل

هذا رسول الله، وجبريل معه، يتدارسان القرآن ويتجاذبان أطراف الحديث قرب الكعبة، فقال النبي ﷺ: " يا جبريل: والذي بعثك بالحق، ما بقي لآل محمد سفّة من دقيق، ولا كفّ من سويق" .

فلم يكن كلامه بأسرع من أن سمع هدّة من السماء أفزعته ،وكانت مجلجلة، ظنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم أن الله تعالى أمر القيامة أن تقوم، فتضعضعت السماء.

فقال جبريل مهدّئاً رُوعه، ومسكّنا خوفه :لا .. إنّه ملك نزل من السماء، لم ينزل منها منذ خلقه الله تعالى... ونظر رسول الله ﷺ إلى عظيم خلقته، وجليل صورته، وهو يدنو منهما، فملأ عينه وسبّح خالقه، فلمّا وصل قال لهما: السلام عليكما ورحمة الله وبركاته،.. وهذا سلام المسلمين منذ خلق الله تعالى آدم في الجنّة، فردّا عليه السلام بأحسن منه: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ومغفرته ورضوانه.. فلمّا تمكّن واقفا التفت إلى النبي صلى الله عليه وسلّم ،وقال : أن ربك يقرئك السلام، ويقول سبحانه: إنّه عزّ شأنه سمع ما ذكرتَ، فبعثني إليك بمفاتيح خزائن الأرض، وأمرني أن أعرض عليك أن أُسيّر جبال تِهامةَ زُمُرُّدا، وياقوتاً ،وذهبا وفضّةً ، وأمرني أن أجعلك إن شئتَ نبيّا ملِكاً وإن شئتَ نبيّا عبداً.

إن الفطرة لتدعوه أن يختار النبُوَّة مع العبوديّةِ ، فأعلى مراتب الإنسان العبودية لله

تعالى: " سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله"... ونظر إلى جبريل يستشيره، فرآه يوحي إليه أن تواضعْ، فالتواضعُ يرفع صاحبه في علّيّين ، ومن تواضع لله رفعه.

إنّ للملك حظّا في النفس، ورغبةً في الاستعلاء، وشعوراً بالعظَمَة ، وإحساساً بالفوقيّة على من حوله، وللعبوديّة تواضعاً للآخرين، وقدرة على الدخول إلى نفوسهم، والتباسطِ معهم، واكتساب قلوبهم وتحمّلِ أذاهم، والصفح عنهم.

فقال صلى الله عليه وسلّم: " بل عبداً رسولاً، أشبع يوماً فأشكر الله ، وأجوع يوما فأحمد الله، إنّما أنا عبدٌ ، والله تعالى يحبُّ أن يراني في مقام العبوديّة، متذلّلاً له ، ضارعاً إليه، مقبلاً عليه،.. لا أصلحُ للدنيا ولا تصلح لي... إنما هي في يدي ، وليست في قلبي.

يا الله ، ما أعظم هذا النبيّ الكريم! تأتيه الدنيا صاغرةً، ويدفعها عنه، فقد دخل عليه عمر رضي الله عنه فرأى الحصير قد أثَّر في جنبه صلى الله عليه وسلّم، فيبكي عمر، فيسأله المصطفى: " ما يبكيك يا عمر؟" فيقول: هذا هرقل ،وذاك كسرى حِيزَتْ لهما الدنيا، وأنت رسول الله ، يؤثّر الحصير في جنبك!!

فيقول النبي عليه الصلاة والسلام، منبّهاً إلى حقارة الدنيا عند الله تعالى، وهوانها على المؤمن:"فوالذي نفسي بيده، لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربةَ ماء... يا عمرُ، أما يرضيك أن تكون الدنيا لهما والآخرة لنا؟..

ومات هرقل وكسرى مذمومين ، ولا يذكران إلا حين يتحدث الناس في العظات والعبر ويتعوذون من مصيرهما ، أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فيذكر في كلِّ لحظة آناء الليل وأطراف النهار بكل حبٍّ وإجلال وتقدير ، اسمه مقرون باسم الله تعالى في الأذان وفي الإقامة ، وفي كثير من آيات القرآن ، { وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه

لبدا } .. وقوله تعالى { الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا } .. وقوله تعالى { وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ... } فهل هناك أعظم وأجل من هذه المكانة ؟ ! ..

إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجه حين طلب الماء قالوا : انتظر يا رسول الله قليلاً يأت ماء زمزم فتشربْه ، . وكان في عرفة . فإن الماء هنا يخوض الناس فيه.، فقال : " لا حاجة لي فيه،. اسقوني مما يشرب الناس ." فهو على بركته صلى الله عليه وسلّم . يرجو بركة الناس، فيسأ ل أن يشرب من الماء الذي يشربون! .. يا سبحان الله .. بهذا التواضع كان يملك قلوب أصحابه،.. آمنت أنّه سيد البشر ، الشفيع المشفّع في المحشر.

بل إنه صلى الله عليه وسلّم يجلس إلى قصعته، بين الناس، جاثيا على ركبتيه، ويبدأ الطعام مع أصحابه، فيقول له أعرابي : ما هذه الجلسة؟ .. إنها لم تعجبه، ولم يرضها للرسول الكريم. فيقول الرسول المتواضع . عليه من الله الصلاة والسلام .: " إن الله جعلني عبداً كريما ،ولم يجعلني جباراً عنيداً" .

وما أقربه . صلى الله عليه وسلّم . إلى قلوبنا ، وقلب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حين استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلّم في العمرة، فأذن له، وقال له :" لا تنسني يا أُخَيّ عمر من دعائك " فيناديه باسمه، ويتقرّب إليه بلفظ : يا أُخَيّ ، ويسأله أن يشركه بالدعاء، وهو منقذ البشريّة، وهاديها إلى الصراط المستقيم .

ولِمَ لا يقول ، ويفعل من تواضع ، ولَطُفَ؟ ، وهو الذي يعلمنا في حديثه الشريف: " إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتّى لا يفخر أحدٌ على أحدٍ ، ولا يبغي أحدٌ على أحدٍ .

تواضع لربّ العرش ، علّك تُرفعُ فما خاب عبدٌ للمهيمن يخضعُ

وداوِ بذكر الله قلبك ، إنّه أجَلُّ دواء للقلوب وأنفع

نحن و الصبر

ما من كلمة ترددت في كتاب الله عز وجل بالكثرة التي ترددت فيها كلمة الصبر وأصبح من البديهي عند المسلمين بل وعند الناس جميعاً أن الصبر مقياس كل خير في صفات الإنسان. والنصوص في كتاب الله وسنة رسوله على فضيلة الصبر تجعل من هذا الصبر أساساً للنجاح يوم القيامة كما قال عليه الصلاة والسلام (الصبر معوّل المؤمن) إذا ضعف عملي وكثرت خطاياي ثم وهنت قواي في طاعة الله عز وجل ثم ضاقت بي السبل يوم القيامة فإن الصبر هو المعوّل عليه. فإذا جاء في صحيفتي أو صحيفتك موقف واحد فيه صبر على بلاء واحتسبناه لله ولم نشكُه لأحد من عوادنا ولم ندعُ غير الله في كشفه فإن هذا الموقف وحده كافٍ لأن يرفع درجاتنا حتى لو كبت بنا كل أعمالنا – معشر المسلمين – هكذا هو الصبر (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ٤٦ الأنفال) فالصبر شطر الإيمان، فكل هذا الدين شطر والصبر وحده شطر. وجاء في الحديث (الصبر أول العبادة). ونجد مع الصبر كلمات تناسبه هي الصبر والحلم والصوم والعفة والقناعة وكظم الغيظ والعفو، وهي تحتاج منا للقوة والعزيمة .

الصبر: فإما أن تكون صابراً أو جزوعاً، وهو احتمال موقف مؤلم وشاق لا تستطيع تلافيه. فتلجأ إلى الله تعالى ، فعليه التكلان، وإليه وحده الملاذ والمأوى " واصبر وما صبرك إلا بالله " ومن لم يصبر كان جزوعاً .

الحلم: وهي صفة الصابر المتمكن الذي يغفر لمن أساء إليه . والفرق بين كونك حليماً وكونك صابراً أن تكون حليماً باختيارك، يمكنك أن تتلافى ما قد يجري عليك ، قال الله تعالى مع الصبر :(وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ١٨٦ آل عمران)

وقال مع الحلم (وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ٤٣ الشورى) فزادت اللام مع الحلم ويقول ابن القيم في مدارج السالكين إنه سأل شيخ الإسلام ابن تيمية عن صبر سيدنا يوسف عليه السلام في الجب فقال كان صبراً اضطرارياً ، ولكن الأعظم من ذلك صبره في السجن وصبره على مراودة التي هو في بيتها ، فدخل السجن باختياره.

وعكس الحِلم السفه ، وقد مدح الله تعالى سيدنا إبراهيم بالحلم ، فقال : (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ٧٥ هود) ومن حلم رب العالمين أنه لم يعجل العقوبة وهو القادر على تنفيذها في الحال والتو : (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ٤٥ فاطر) .فكان الحلم من أسمائه الحسنى سبحانه وتعالى

الصوم: احتمال الامتناع عن مطلوب مشروع لإرضاء الله تعالى. وهو نوع من أنواع الصبر فتصبر على عدم الأكل والشرب .

العِفّة: وعكسها الطمع (وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمْ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ٣٣ النور) فأنت تعف عما في يد الآخرين مع إمكان أن تحصل عليه. وكل شهوة تستطيع الحصول عليها ولكنك تتركها لمعانٍ سامية تسمى عفة. وفي الجاهلية سميَ والد الصحابي الجليل عثمان بالعفيف أو العفّان لأنه حرّم الخمرة والنساء على نفسه رغم شيوعها في الجاهلية من باب عفته ومروءته وشعوره بالكرامة وحسن الخلق .ومن هنا نقول: إن العفة ترك ما تستطيع نيله بطريق غير محمود، مع أنه ليس لك

القناعة: صفة رائعة يمتاز صاحبها بالرضا بالقليل مع قدرته على نيل الكثير وهذا من الزهد المحمود . والقناعة عكسها الشره ومن صفات الإنسان الجشع ، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : (لو كان لابن آدم واديان من ذهب لتمنى الثالث). ومن هنا نقول : إن القناعة ترك ما تستطيع نيله بطريق الحلال ترفعاً وزهداً.

كظم الغيظ: والكظم عكسه الإنفاذ، فإن اعتُدي على أحد وكان يستطيع الردّ على المعتدي بقوة ، فكظم غيظه التزاماً بأمره تعالى (وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ١٣٤ آل عمران) نال الخير الكثير ، وفاز بالجنة .

وكظم الغيظ أنك لا تتعجل الانتقام – وهو من حقك – ولا تهيج برغم ما في داخلك من غليان ومن ثورة الغضب ، وانظروا نتيجة الحلم وكظم الغيظ (فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ٣٥ فصلت) إنه اكتساب الأصدقاء ، وما يفعل هذا إلا عظماء الرجال، ويمدحهم الله تعالى في الحديث القدسي (من كظم غيظه من أجلي وهو قادر على إنفاذه كان حقاً علي أن أملأ جوفه رضىً يوم القيامة) وهؤلاء الرجال قليلون .

العفو: هو الخطوة الثانية بعد الكظم ، فلا محاسبة لأخذ الحق بل سماح وعفو . ماذا بعد كظم الغيظ ؟ " والكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين " (وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم).

ولا ننس قصة المملوك الذي صب خطأ على سيده ما في يده فأثار حفيظته وكاد يبطش به لولا أن تدارك العبد الأمر فأسرع يقول : " والكاظمين الغيظ " فقال : كظمت غيظي ، فقال العبد " والعافين عن الناس " قال عفوت عنك ، فقال :" والله يحب المحسنين " فقال اذهب ، أنت حر لوجه الله .

ولا يكون الوجيه وجيهاً في الدنيا إلا إذا كان صابراً حليماً مبتسماً لا يعجل العقوبة ، عفيفاً وقنوعاً فإذا اجتمعت هذه الصفات في عبد كان في قمة الخلق. يقول النبي صلى الله عليه وسلم (أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقا) :إن الرجل يكتسب بحسن

خلقه يوم القيامة أكثر مما يكتسب الصائم الذي لا يُفطر والقائم الذي لا يَفتر والمجاهد الذي لا. يضعُف. والميزان يوم القيامة ليس بكثرة صلاة ولا بكثرة صيام وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام يمدح الصديق أبا بكر (ما سبقكم أبو بكر بكثرة صيام ولا كثرة صلاة ولكن بشيءٍ وقر في قلبه) فقد جمع من صفات الخير الشيء الكثير ، فكان عند الله تعالى كريماً .

بعض ما قيل عن الصبر

يقول الزَّبيدي رحمه الله صاحب كتاب (تاجُ العروس) عن الصبر إنه حبس النفس عن الجزع وحبس اللسان عن الشكوى وحبس الجوارح عن التشويش، فلا تجزع عندما تصيبك مصيبة . والجزع هو شدة الانهيار الذي يؤدي بصاحبه إلى تصرفات غير محمودة كالصراخ واللطم والعويل وشق الثياب والتلفظ بالكلمات النابية .

والصبر الجميل ليس فيه شكوى .

والهجر الجميل لا صرام فيه ، والصِّرامُ : القطع .

والصفح الجميل لا عتاب فيه ولا عقاب .

ذو النون يقول : الصبر هو السكون عند تجرّع البلية.

ويقول أحد الصالحين: هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب.

ومعظم الناس في هذا الزمان من أهل الصبر فقد صب عليهم المحن الكثيرة سواء أفراداً وجماعات فقد جمع عليهم المحن الاقتصادية والوظيفية والصحية وأمراض العصر الرهيبة. فكثرت البلايا.. وكأن الله عز وجل يريد أن يُنقي هذه الأمة من خطاياها لأن هذه البلايا أعجوبة العجائب ما تذر العبد وعليه خطيئة فيأتي يوم القيامة دون ذنب لشدة الكرب الذي ناله في دنياه ، وأنت تعلم أن الله تعالى لا يجمع على المؤمن كربَ الدنيا والآخرة ،

وهو الرحيم الودود سبحانه " إن الله بالناس لرؤوف رحيم "

ومن رأفته —سبحانه – ورحمته بالناس أن بلاء بسيطاً يسلطه الله تعالى على عبده يُكفرُ ذنوب العبد. وكما جاء في الأثر "إن ليلة من الصداع والمليلة – الحُمّى الشديدة التي تصل إلى العظم – كفيلة بأن يغفر الله بها ذنوب العبد " ، فأكرِمْ بالله تعالى . وقال صلى الله عليه وسلم " الحُمّى من فيح جهنم وذاك نصيب المؤمن من النار"

وقال صلى الله عليه وسلم " ما رزق الله عبداً خيراً له ولا أوسع من الصبر" .

وعن التابعي الجليل عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس: ألا أُريك امرأة من أهل الجنة ؟ قلت: بلى قال:هذه المرأة أتت النبي عليه الصلاة والسلام فقالت: يا رسول الله إني أصرع فادعُ الله لي أن يشفيني قال: إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله لك أن يعافيك قالت: أصبر

عن عطاء بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "إذا مرض العبد بعث الله ملكين فقال: انظرا عبدي ما يقول لعواده فإن هو إذا جاءوه حَمِدَ الله وأثنى عليه رُفِعَ ذلك إلى الله وهو أعلم به فيقول الرب عز وجل: لِعبدي عليّ إن توفيته أن أدخله الجنة، وإن أنا شفيته أن أبدله لحماً خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه وأن أكفِّر عنه سيئاته".

وفي الحديث " من صُدِع رأسه في سبيل الله فاحتسب غفر له ما كان قبل ذلك من ذنب" ...وعن فاطمة الخُزاعية قالت عاد النبي صلى الله عليه وسلم امرأة من الأنصار وهي وجِعَة فقال لها: كيف تجدينك؟ قالت: بخير إلا أن أم مَلدم– تكنى بها الحمى– قد برَّحت بي فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اصبري فإنها تذهب خبث ابن آدم كما يُذهب الكيرُ خبث الحديد. ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : " من وُعِك ليلة فصبر ورضي بها من الله

عز وجل خرج من ذنوبه كيومَ ولدته أمُّه" . ويقول الله عز وجل مادحاً الصابرين "وبشر الصابرين ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ١٥٧ البقرة" وفي الحديث القدسي يقول الله تبارك وتعالى " إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته عنهما الجنة) : وهما عيناه

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم " ما ابتلي عبد بعد ذهاب دينه بأشد من ذهاب بصره وما ابتلي ببصره فصبر حتى يلقى اللهَ لقيَ الله تبارك وتعالى ولا حساب عليه"

ويقول صلى الله عليه وسلم : (إن العبد إذا سبقت له المنزلة عند الله فلم يبلغها بعمل ابتلاه الله في جسده أو في ماله أو في ولده ثم صبر على ذلك حتى يُبلّغه المنزلة التي سبقت له من الله عز وجل)

وقد هز الرسول صلى الله عليه وسلم شجرة حتى تساقط ورقها ما شاء الله أن يتساقط ثم قال: " لَلمصيباتُ والأوجاع أسرعُ في ذنوب ابن آدم مني في هذه الشجرة". فما أن تصاب بمصيبة أو وجع حتى تتناثر ذنوبك كما تتناثر أوراق هذه الشجرة اليابسة. وهذه الأمة صابرة نرجو لها العفو عن الذنب والمغفرة والجنة .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه " الصبر، صبرٌ على البلاء، وصبر على الطاعات ، وصبر عن المعاصي " .

والمسلم يصبر على الهموم التي ابتلي بها من فقر ومرض وغربة وضيق ، ويكِلُ أمره إلى الله تعالى ، فله الجنة وهذا صبر على البلاء

ومن أمثلة الصبر على الطاعات: قيام الليل ،فمن كان لديه فراش دافئ وزوجة حسناء فتركهما ليقوم ويصلي لله يقول تعالى: (انظروا لعبدي قام يتملقني ولو شاء لرقد) .

وهكذا. الأمهات هن أهل للجنة ، فالحملُ والولادة والإرضاعُ والحَيض والنفاس لا

يبقي على المرأة أي ذنب وأجر الأم يوم القيامة عظيم فهي تصبر على الزوج وإرضائه وعلى الأولاد وتربيتهم،

وقد قال صلى الله عليه وسلم "كفى بالمرء إثماً أن يُضيّع من يعول " فما من ذنب أعظم من أن تضيع أمر طفل أو مَن تعولُ وإن كان التضييع معنوياً أو تربوياً أو تعليمياً. .. يقول صلى الله عليه وسلم " إن من الذنوب ذنوباً لا يغفرها إلا الهمّ للعيال " بعض ذنوب الرجال كبائر يغفرها الله تعالى باهتمام الرجل بأطفاله.

والصبر عن المعاصي بأن يجاهد الإنسان نفسه لكي لا يقع في المعاصي والإنسان في هذا الزمن الكئيب تحيط به إغراءات الدنيا ، والحياة كلها في هذا الزمن معاصٍ وضغوطٌ .... اقتصادٌ بعيد عن الحلال وفجورٌ منتشر في كل شارع وحي ولقاءاتٌ تخوض في أعراض المسلمين ، وهؤلاء الصابرون عن المعاصي قليلون لأن أغلب الناس ينساقون وراء المعاصي ويقعون فيها ، لذلك قيل : إن الصبر عن المعاصي من أعظم أنواع الصبر.

اللهم اكتبنا من الصابرين ، وارزقنا ثواب الصابرين

ولا يُسأل عن ذنوبهم المجرمون

قال مستغرباً : قرأت قوله تعالى في سورة الرحمن " فوربك لنسألنّهم أجمعين عما كانوا يعملون " ثم قرأت قوله تعالى في سورة القصص " ولا يُسأل عن ذنوبهم المجرمون ، فكيف نوازن بين هاتين الآيتين ؟

قلت : ليس في الآيتين تعارض ، فالإنس والجن موقوفون أمام الله ومسؤولون " وقفوهم ؛ إنهم مسؤولون " ولكن ألم تقرأ قوله صلى الله عليه وسلم يمدح بعض المخلصين الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب إذ قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابن عباس رضي الله عنهما : " عرضت علي الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي، فقيل لى : هذا موسى وقومه، ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لى، انظر إلى الأفق الآخر، فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب" .. فلما دخل صلى الله عليه وسلم بيته لحاجة ، ثم خرج على أصحابه ، فرآهم يخوضون في هؤلاء ويبحثون عن السبب الذي يجعلهم بعيدين عن المساءلة قال: "ما الذي تخوضون فيه؟" فأخبروه فقال: "هم الذين لا يرقون ، ولا يسترقون ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون" رواه الشيخان .

فهؤلاء مستثنون من الحساب لأن الله تعالى أحب أن يكرمهم لإخلاصهم وعظيم إيمانهم . فالحساب هو القاعدة ، وهؤلاء مستثنَون من القاعدة . وفي المقابل يُستثنى المجرمون في دخولهم النار فلا يُحاسبون لكثرة جرائمهم وشدة ظهورها . وقال بعض المفسرين : ألم تقرأوا قوله تعالى " يُعرف المجرمون بسيماهم ، فيُؤخذ بالنواصي والأقدام " ؟ هؤلاء المجرمون

يحشرون سود الوجوه ، زرقَ العيون " .. ونحشر المجرمين يومئذ زُرقاً .. " فيُخذون من رؤوسهم وأرجلهم ، ويُلقَون في النار بلا حساب . إن ألسنة النار تأخذهم من بين الخلائق فتلقي بهم في جوفها وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم " فيخرج عنق من النار فيلتقط الكفار لقط الطائر حبَّ السمسم " وقد قال الضحاك : يُجمع بين ناصيتيه وقدميه في سلسلة من وراء ظهره حتى يندق ظهره ، ثم يُلقى في النار ليكون أشد لعذابه . وقيل : إن الملائكة تسحبهم إلى النار ، تارة تأخذهم بنواصيهم ، وتجرهم على وجوههم ، وتارة تأخذهم بأقدامهم وتسحبهم على رؤوسهم .

وقيل في شرح الآية " ولا يُسأل عن ذنوبهم المجرمون " : لا يُسألون سؤال استعتاب ، كما قال سبحانه " ولا هم يُستعتبون " ، " فما هم من المعتبين " وإنما يُسألون سؤال توبيخ وتقريع ، ويُفضحون على رؤوس الخلائق .

نسأل الله العافية وحسن الختام .

يا أيها الذين آمنوا

ما إن سمعنا المؤذن يقيم الصلاة حتى كبر الإمام وتبعه المصلون و قرأ الإمام الفاتحة بصوته الشجي ثم هدأ قليلاً ليبدأ بعدها قراءة آيات مباركات ... يا أيها الذين آمنوا ... وتوقف قليلاً .. قلت في نفسي : لم توقف ؟ هل نسي ما يود قراءته؟ ... فليبدأ بأية غيرها، فلم يزل في البداية . لكنه كررها مرة أخرى وكأنه ينادينا بصوت يخرج من أعماق قلبه " يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً ؟ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ، ولن تجد لهم نصيراً .... "كان قلبي يرتج كبناء أصيب بزلزال هزه هزاً شديداً فبدأ يترنح ، يكاد يسقط .... فالإمام إذاً كان بوقوفه هذا مع تكرار " يا أيها الذين آمنوا " يريد أن يوصل لنا النداء ، وأن نتفاعل مع كل كلمة بعد هذا النداء ، ولم يكن يريد لنا صلاة ميتة يسرح فيها الواقف هنا وهناك في هذه الدنيا الواسعة ، لا يدري كيف تنتهي الصلاة ولم يعِ منها شيئاً . ثم يظن أحدنا أنه أدى الصلاة وأرضى الله تعالى !! .. كان يريدنا أن نتلقى الرسالة و نفهم ما يتلوه على مسامعنا، وأن نكون فعلاً واقفين بخشوع أمام ملك الملوك ومالك الملك ، وأن نتدبر آياته بقلب حيّ ولبّ ذكي . فما بعد النداء أمر خطير جهله الناس على كثرة ما يتلى عليهم .

" يا أيها الذين آمنوا " : لبيك وسعديك – يارب – والأمر كله بين يديك . نحن – معشر المؤمنين – عبادك .... لك الأمر، وعلينا الطاعة والامتثال إن كنا مؤمنين . وسنكون بإذنك ومشيئتك مؤمنين دائماً ، تحبنا وترضى عنا ..... وتداعى إلى ذاكرتي بهذا النداء العلويّ الرائع الذي يرفعنا إلى مرتبة العبودية لله تعالى مدى حبه تعالى للمؤمنين ،

إذ تكرر هذا النداء سبعاً وثمانين مرة يوضح الطريق المستقيم إلى مرضاته سبحانه ، ويبين السبيل الأقوم للحياة الطيبة في الدنيا والواعدة في الأخرى .

" لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين " والوليّ – إخوتي الأحبة – الصديق الوفي ، والأخ الصدوق ، والناصح الأمين . وهل يعقل أن يكون الكافر الذي يكرهنا ويسعى جاهداً للإيقاع بنا وإيذائنا ، والذي يعمل ليل نهار على استئصال شأفتنا والكيد بنا أخا وصاحباً ونصوحاً ؟!! إنهم كما قال تعالى " لا يرقبون في مؤمن إلاّ ولا ذمة ، وأولئك هم المعتدون " .. وهل يعقل أن ترى ذكياً لبيباً بعد ذلك يتخذهم أولياء يلقي إليهم بالمودّة ؟! إن من يفعل ذلك واحد من اثنين لا ثالث لهما : غافل لاهٍ غبيّ أو منافق أظهر الإسلام وأبطن الكفر .

أما الغافل اللاهي فقد أساء إلى نفسه دون أن يدري حيث استحق تتمة الآية " أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً " إنه حين يرضى لنفسه مصاحبة الكافر عدو الله فقد حكم على نفسه بالهلاك والويل والثبور وعظائم الأمور ، فضلاً عن غضب الله تعالى على من أسلم قياده وزمامه لعدو الله " إن الطيور على أشكالها تقع " وما يأمن لكافر إلا السفيه الغرّير .

وأما المنافق فله عذاب أليم جزاءً وفاقاً ، بل " إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار " و الدرْك منازل النار والدرَجة منازل الجنة " فأولئك لهم الدرجات العلا ، جناتٌ عدن تجري من تحتها الأنهار " . والدرك في النار سبع منازل أشدها : الهاوية ثم الجحيم ثم سقر ثم السعير ثم الحطمة ثم لظى ثم جهنّم .وللمنافقين أسفلها وهو "الهاوية " . لغلظ كفرهم وشدة غوائلهم ، وتمكنهم من المسلمين . نعوذ بالله أن نكون منافقين . ..

قال ابن مسعود رض الله عنه : للمنافقين في الهاوية توابيت من حديد ، مقفلة في

النار تقفل عليهم. وقال ابن عمر رضي الله عنهما : إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة ثلاثة:

المنافقون : " إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار "

من كفر من أصحاب المائدة : " إني منزلها عليكم فمن يكفر بعدُ منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين "

آل فرعون: " النار يعرضون عليها غُدُوّاً وعشيّاً ، ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب " .

أما درجات الجنة فهي مئة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " إن في الجنة مئة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله ، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض " .

وهل هناك من ينصر هؤلاء المنافقين ؟! حاشا وكلاّ .. إن الله خصيمهم ." ولن تجد لهم نصيراً " ومن يقف أمام الله تعالى ؟! بل " من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه " وهل يشفع أحد إلا لمن يريد الله تعالى له الخير ؟ " ولا يشفعون إلا لمن ارتضى " .

ومن رحمة الله تعالى بعباده أن يترك لهم باب الأمل مفتوحاً على مصراعيه ، ولو فعلوا ما فعلوا ، ألا نقرأ دائماً " بسم الله الرحمن الرحيم " في كل لحظة من حياتنا ؟ فهو الرحيم بعباده ، الرؤوف بهم ، الغفور لزلاتهم . العطوف عليهم ، المسامح الكريم ، لا إله إلاّ هو ... يدعوهم إليه كل حين ، " إلا الذين .... ١- تابوا ،

٢- وأصلحوا ،

٣- واعتصموا بالله ،

٤- وأخلصوا دينهم لله ،

فأولئك مع المؤمنين ..... وسوف يؤتي اللهُ المؤمنين أجراً عظيماً "

فلا بد من التوبة النصوح التي لا رجوع بعدها إلى الكفر والشرك . والعمل الصالح الذي يجب ما قبله ويمحوه ، ويؤكد توبة صاحبه ويدل على صدق توجهه . واللجوء إلى الله تعالى أن يبدل السيئات حسنات ، ويغفر الذنب ويستر العيب ، ويعين على التوبة والعمل الصالح ، فبالله المستعان دائما . والإخلاص في الأمور كلها لله تعالى ، فبالنية الخالصة تقبل الأعمال " إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى " . وهنا يضمهم الله تعالى إلى ركب المؤمنين الصالحين الذين وعدهم الله عز وجل بالأجر العظيم .

قال مكحول رحمه الله تعالى: أربعٌ من كنّ فيه كنّ له ، وثلاثٌ من كنّ فيه كنّ عليه.

أما أربع الصفات التي إن كنّ فيه كنّ له (أي كنّ في ميزان حسناته)

فالإيمان والشكر: " ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم، وكان الله شاكراً عليماً "

والاستغفـار: " وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون " .

والدعـــاء: " قل : ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم " .

وأما ثلاث الصفات التي إن كن فيه كن عليه (أي كنّ وبالاً عليه)

فالمكـــر : " ولا يحيق المكر السيّء إلا بأهله " .

والبغـــي : " يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم " .

والنكـــث : " فمن نكث فإنما ينكث على نفسه " .

الفهرس العام

كلمة في الكتاب ٣

❖ أغلى من الذهب ٥

❖ الاستغفار بالأسحار ٧

❖ الاستقامة ١٠

❖ المسارعون إلى الله تعالى ١٤

❖ ونعم أجر العاملين ١٩

❖ النساء شقائق الرجال ٢٠

❖ الهجرة ٢٣

❖ أهل العلم ٣٠

❖ حسن الخلق ٣٣

❖ رمضان شهر عظيم ٣٨

❖ مكانة الصوم العظيمة ٥١

❖ سبحانك يا غفار ٥٦

❖ شعر أبي أسامة "معاوية بن زهير" ٥٩

❖ غرس الثقافة في الجيل الجديد ٦٢

❖ غفران الذنوب ٦٥

❖ في رحاب الحبّ النبويّ ٦٧

❖ في رحاب المصطفى (١) ٦٨

❖ في رحاب المصطفى (٢) ٧١

❖ قصة وتعليق ٧٧

❖ مكانة الصديق رضي الله عنه ٨١

❖ مكانة " الفاروق عمر " رضي الله عنه ٨٧

❖ من قصص الغابرين ٩٣

❖ حديث أم زرع ٩٨

❖ نبي الرحمة والتواضع ١٠٢
❖ نحن و الصبر ١٠٥
❖ ولا يُسأل عن ذنوبهم المجرمون ١١٢
❖ يا أيها الذين آمنوا ١١٤
الفهرس العام ١١٩